جريمة القتل في المجتمع الصليبي ببلاد الشام في القرنين 12–13م

دكتور/ أحمد عبد الله أحمد
جامعة عين شمس

obeikandl.com

جريمة القتل في المجتمع الصليبي
ببلاد الشام في القرنين 12–13م

يتناول هذا البحث بالدراسة جريمة القتل في المجتمع الصليبي ببلاد الشام، من حيث دوافع تلك الجريمة الخطيرة التي انتشرت بشكل واضح بين الصليبيين، وتنوع تلك الدوافع ما بين سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها من الدوافع الأخرى المختلفة، كما يناقش الفصل حالات القتل الفردي والجماعي بين الصليبيين، والأساليب المختلفة التي استخدمت فى تنفيذ تلك الجريمة.

وفيما يتعلق بتعريف جريمة القتل ودوافعها، فقد عرف القتل اصطلاحا: بأنه اعتداء إنسان على إنسان عمداً بقتله، أو إزهاق روح إنسان عمدًا، أو بأنه اعتداء على حياة الغير تترتب عليه وفاته(1).

وقد اختلفت دوافع جريمة القتل، وذهب المفكرون الاجتماعيون وعلماء الإجرام في تفسيرهم لذلك السلوك الإجرامي مذاهب شتى، إلا أنهم عزوه في إجماله إلى مجموعتين بعينهما من العوامل الشخصية (الداخلية)، والعوامل البيئية(الخارجية).

فالعوامل الشخصية: تتعلق أساسًا بشخصية الفرد وظروفه التكوينية من حيث الوراثة والبناء العضوي والعقلي والنفسي، ينتج عنها أن يكون هناك أناس لديهم استعداد – أكثر من غيرهم- للانحراف والإجرام.

وتندرج العوامل النفسية إلى قائمة العوامل الشخصية للقتل، فقد يكون الجاني مصابًا بجنون العظمة وحب التكبر، مما يجعل قلبه يمتلئ بالكراهية والحقد تجاه الآخرين، مما يؤدي إلى إصابته بالعته والجنون، فيصيب من حوله بالأذى، ولذلك كان للعامل النفسي دور مهم في تحليل جرائم القتل التي وقعت داخل المجتمع الصليبي، فمن الصعب تجاهل ذلك العامل عند البحث عن الأسباب التي أدت إلى ارتكاب جرائم القتل، فالعوامل النفسية كالحقد والحسد قد تدفع الإنسان إلى قتل أقرب الناس إليه (2)وكان لذلك العامل النفسي

تأثير كبير في جرائم القتل التي وقعت في المجتمع الصليبي .

أما العوامل البيئية: فهى التي تتعلق بكل ما يقع على الفرد من ضغوط خارجية تدفعه إلى ارتكاب هذا السلوك، وهذه العوامل البيئية متعددة بدورها:

فمنها ما يتعلق بالبيئة الفيزيقية(3)، وما قد تتسم به من عزلة وهدوء وقلة سكان ومحدودية حركة، أو شدة زحام وكثافة سكان وسرعة حركة، ومنها ما يتعلق بالبيئة السياسية وغياب الديمقراطية والحرية وسيادة التحكم والتسلط وممارسة رذيلة الاضطهاد لسبب أو لآخر، ومنها ما يتعلق بالبيئة الاجتماعية ممثلة في الأسرة وما تتعايش معه من عدم توافق وتفكك أسري وفساد ومصاحبة رفاق السوء وتأثيرها السلبي على الفرد (4) .

وقد انطبقت العوامل السابقة إلى حد كبير على المجتمع الصليبي وتكوينه، وساعدت كثيرًا في انتشار جرائم القتل بشكل موسع بين مختلف طبقاته وبطرق متباينة كما سنرى، بل وضح أيضاً استعداد عناصر ذلك المجتمع لارتكاب تلك الجريمة نتيجة لتكوينه المتعدد الجنسيات وصراعاتهم الداخلية.

ويعد الطمع في المناصب أو القفز على كرسي الحكم من دوافع جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي، وهو ما شاهدناه فى المرحلة المبكرة من الاحتلال الصليبي لأراضى المسلمين خاصة ببلاد الشام(5)، وعلى مدار تاريخهم فى المنطقة على مدة قرنين من الزمان .

وكذلك من دوافع جريمة القتل، الصراع على تأكيد التبعية، وهو ما كان يحدث بين الأمراء الصليبيين، وكانت تقوم بسببه حروب طاحنة بينهم، مما كان يعرض المملكة الصليبية للخطر الدائم وعدم الاستقرار الداخلى(6)، ويضاف إلى ذلك أن المجتمع الصليبي احتوى على العديد من القتلة الأوربيين الذين استجابوا لدعوات المبشرين للحروب المقدسة – من وجهة نظرهم- في بلاد الشام، وذلك مثل صدمة كبيرة للعديد من الصليبيين الذين صاحبوا الجيوش الصليبية، وكانت حجتهم في مصاحبة الجيوش الصليبية هو التوبة عما اقترفوه من ذنوب جرائمهم (7)، غير أنهم بمجرد وصولهم لبلاد الشام واستقرارهم بها، وجدوها فرصة سانحة لكي يمارسوا جرائمهم من جديد، ولكن هذه

المرة ضد بعضهم البعض(8).

وبالمقارنة بين العوامل الطبيعية والعوامل الشخصية التي وقفت وراء جريمة القتل، فالعوامل الطبيعة كان تأثيرها محدودًا وفي أوقات معينة كانت تدفع أولئك المجرمين لارتكاب جرائمهم، أما العوامل الشخصية فكانت أكثر تأثيرًا في انتشار جريمة القتل، والتأثير على المجرمين بصورة كبيرة حتى يقدموا علي مثل تلك الجرائم، فقد لازمتهم صفة الإجرام حتى مع استقرارهم فى بلاد الشام وبعدهم عن وطنهم الأم في الغرب الأوروبي، وجاء نسلهم مكملاً لهم فكانوا قتلة آخرين، تتطبعوا بصفات آبائهم على الرغم من تغير مستوى معيشتهم في بلاد الشام عن وضع آبائهم الاقتصادي في الغرب الأوروبي .

ويعد الدافع السياسي من الدوافع التي كان لها باع طويل في تفشي القتل داخل المجتمع الصليبي، فمصطلح الاغتيال السياسي يعني التخلص من الأشخاص والجماعات لدوافع سياسية مرتبطة باختلاف في الفكر والأيدلوجية عند الأفراد والجماعات(9)، ولذلك كان تأثير الدافع السياسي داخل المجتمع على جانب كبير من الأهمية، تلك التي جعلت الملوك والنبلاء الصليبيين يشتركون فيها .

وكان من أهم دوافع جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، الصراع بين رجال الدين ورجال السياسة، ومحاولات رجال الدين المستمرة التدخل فى شئون الحكم، وتخليهم عن دورهم الديني فى وعظ وإرشاد الرعية، بل ولجوؤهم إلى استخدام القتل فى التخلص من رجال السياسة(10)، بل وصل الأمر إلى حد انتشار ظاهرة فوضى القتل، فقد أصبحت جريمة القتل من عادات الصليبيين لتصفية الخلافات فيما بينهم، حتى لقد اعتبرها بعض مؤرخيهم من أسباب هزيمة الصليبيين في معركة حطين 1187م، وكان ذلك لكثرة إراقة الدماء بين صفوف الصليبيين(11)، وغيرها من الدوافع الأخرى التى سوف ترد فى هذا الفصل.

وفيما يخص القتل كوسيلة لتصفية الخلافات السياسية، فقد بدأت تلك الجرائم مع بداية تواجد الصليبيين بالمنطقة، ومنها ما قام به بلدوين الأول Baldwin I de

Bouillon في مدينة الرهاEdessa، فعندما تقدمت الجيوش الصليبية تجاه بلاد الشام، انفصل بلدوين بجيشه واتجه إلى بلاد العراق، حيث مدينة الرها الأرمينية، وكان يحكم المدينة رجل يدعى توروس Toros(12) أو ابن هيثوم Het'um (13)وقد رحب توروس ببلدوين واتخذه وريثًا له في الحكم واشركه معه، غير أن الخلافات سرعان ما دبت بين الطرفين عقب عودة بلدوين من حملته من مدينة سمسياط. وقد استغل بلدوين كره الاهالى وزعماء الأرمن لتوروس، فقام بتحريكهم ضده وإن كان الوضع لا يحتاج لمحرك ضد توروس، فقد كان شخصية مكروهة(14)، ويضاف إلى تلك العوامل عداء قسطنطين بن روبين(15) أمير جرجر(16) لتوروس، والذي قام بتدبير مؤامرة ترمي إلى عزله، وعلى الرغم من علم بلدوين بتلك المؤامرة، غير أنه لم يحرك ساكناً، ولم يقدم المساعدة لتوروس عندما هاجمه الثوار وفتكوا به في 7 مارس 1098م، فقد حاول الهرب من الثوار، إلا أن سهامهم نالت منه(17)، ورواية أخرى تقول إنهم سحلوا جثمانه في الشوارع وقطعوا رأسه(18)، إلا أننا لا يمكن أن نبرأ بلدوين تمامًا من تهمة المشاركة ولو بنصيب محدود في تحريض الثوار، أو على الأقل من تهمة التفريط في حياة توروس، وعدم القيام بواجبه كاملا في حمايته، وبعد ذلك تولى هو حكم الإمارة (19).

وعلى الرغم من اختلاف الروايات التاريخية حول مقتل توروس حاكم الرها، إلا أنها أجمعت على أن بلدوين كان له نصيب كبير في تلك الجريمة، بل أنه كان المحرض الأول لها، خاصة بعدما جعله توروس خليفة له في الحكم، بل إن بلدوين هو القاتل الحقيقي لتوروس، وذلك طمعًا منه فى الفوز بحكم الرها، وتأسيس إمارة صليبية بها، وذلك على الرغم من عدم اشتراك بلدوين فى مهاجمة توروس، إلا أنه لم يقم بتحذيره أو الدفاع عنه في الوقت الذي علم فيه بتدبير مؤامرة لقتله .

أما عن جرائم القتل التي كانت تتم بدافع التبعية، فمنها ما حدث عندما تولى برتراند (1109 -1112) Bertrand of Tripoli (20) حكم إمارة طرابلس، وعمل على تأكيد تبعيته لملك بيت المقدس، وفي الوقت نفسه تناسى وعوده العريضة

للإمبراطور البيزنطى ألكسيوس كومنين (Alexius Comnena(1080-1118م) عندما كان في ضيافته بالقسطنطينية. غير أن إمارة طرابلس ولدت ممزقة من الأساس، فبينما تولى برتراند حكم طرابلس، استولى وليم جوردانWilliam of Jordan (21)على أنطرطوس(22) وعرقة(23)، وبذلك يكون قد تقطع أوصال الإقليم الواحد، مع ما نتج عنه من حزازات بين الجانبين، يضاف إلى ذلك اختلاف اتجاه الحكامين وتوزيع ولائهما توزيعاً متضاداً، فبينما اعترف برتراند أمير طرابلس بالتبعية لملك بيت المقدس، إذا بوليم جوردان صاحب أنطرطوس وعرقة، يقدم ولاءه لأمير أنطاكية، وقد كانت جميع تلك الظواهر وغيرها لا تبشر بخير، وأنذرت بالصدام بين الرجلين، غير أن القدر لم يمهل وليم جوردان، فقد تم اغتياله، واختلفت المصادر في ذكر طريقة قتله، فقيل إنه قتل بسهم أطلق بالمصادفة ودون تدبير(24)، بيد أحد رجاله في ظروف غامضة وذلك في عام 1109م، وقد أشارت إليها المصادر الصليبية إشارة مقتضبة غير واضحة. (25)

وقد عدت جريمة قتل وليم جوردان من الجرائم التي لم يوجد لها تفسير، وخاصة في فترة صراعه مع برتراند حول أمر التبعية، ومما زاد من غموض تلك الجريمة، أن المصادر الصليبية لم تمدنا بالمعلومات الكافية عنها،غير أن ذلك لا ينفي التهمة عن برتراند كليًا، فمن مصلحته التخلص من وليم جوردان، حتى يستولي على أملاكه، وتكتمل سيطرته على إمارة طرابلس، وحتى لا ينازعه أحد في ملكه .

ويضاف إلى ذلك، أن العلاقة بين مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية ببلاد الشام لم تأخذ شكلها النهائي من حيث تبعية الإمارات للمملكة، مما أدى إلى توزيع ولاء صغار الأمراء الصليبيين بين كل من حكام الإمارات الصليبية وبين ملك مملكة بيت المقدس، فأدى ذلك إلى حدوث صدامات فيما بينهم، وبالتالي حدوث خلل في الجانب السياسي.

ومن حوادث القتل السياسي الشهيرة، جريمة قتل ميلون دي بلانسي Milon de Plancy (1174م) (26)، فقد تم اختيار ميلون وصيًا للعرش على الملك الصليبي القاصر بلدوين الرابع1174م، وعندما تولى المنصب أظهر ازدراءه لبارونات المملكة حتى لمن

علاه قدرًا منهم ولم يقم لهم وزنًا(27)، ونتيجة لذلك تعرض ميلون لمناوأة الحزب المعارض، ونشأت عداوة خطيرة بين هذا النبيل وبين بعض بارونات المملكة، ورفضوا التعاون معه ولم يجتمعوا به واحتقره الجميع(28)، فقد كان رجلاً متغطرسًا، وعندما أراد التغلب على غيرة الأمراء الآخرين منه، رجع إلى نكرة من غمار الناس يدعى روهارد حارس قلعة القدس، وتظاهر بأنه يمتثل لتوجيهات هذا الرجل التافه(29)، واستأثر بالسلطة والإشراف على شئون المملكة تماماً(30)، ثم لم يلبث أن ظهر معارض قوي لميلون وهو ريموند الثالث أمير طرابلس، والذي كان أسيراً لدى نور الدين محمود من سنة 1164م، وحتى عام 1172م، ثم تم الإفراج عنه، واستغل محبة الأمراء له في المطالبة بأحقيته في الوصاية على ملك بيت المقدس بلدوين الرابع (31) .

ونتيجة لسياسة ميلون الخاطئة، حيث كان يقوم بتصريف شئون المملكة حسب هواه، كما أنه كان يوزع الإنعامات وفق ما شاء، مما أثار بذلك سخط الكثيرين عليه ونقمتهم له، حتى وصلت الأمور إلى طريق مسدود(32). نتيجة لذلك تآمر البعض سرًا للقضاء عليه، وعندما علم بتلك المؤامرة لم يهتم واستمر في تصرفاته الطائشة، وفي أحد الأيام وبينما هو يسير في أحد شوارع مدينة عكا الصليبية، طعنه شخص مجهول طعنة نافذة أودت بحياته وذلك في خريف عام 1174م، وقد اختلفت الآراء في سبب مقتله، فهناك رأي يقول إنه قتل نتيجة ولائه الشديد للملك بلدوين الرابع، ورأي أخر يقول إنه قتل بسبب أنه كان يرتب في السر الخطوات للاستيلاء على زمام السلطة الملكية، حتى أشيع أنه أرسل إلى أقربائه في فرنسا لكي يحضروا إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، حتى يكونوا عونًا له في تنفيذ رغباته(33)

وبتحليل تلك الجريمة، يرجح أن سبب مقتل ميلون هو استئثاره بالسلطة، وسوء استخدامها، وفيما يبدو أن منصب الوصي على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، كان يغري الأمراء الصليبيين بفعل أي شيء من أجل الفوز بهذا المنصب، حتى ولو كان ذلك الشيء هو ارتكاب جريمة القتل لإزاحة المنافسين لهم عن الساحة، ويضاف إلى ذلك

مساعدة ميلون لقاتليه في تنفيذ جريمتهم، من خلال عدم اتخاذه لنفسه حراسة تحميه من غدر أعدائه، فربما تصور أنه لن يستطيع أي من معارضيه إصابته بأي أذى.

وبمقتل ميلون قام ريموند الثالث بالوصاية على مملكة بيت المقدس الصليبية وملكها الصغير(34)، غير أن قضية مقتل ميلون لم تنته عند هذا الحد، فلقد سارعت ستيفاني Stephanieوريثة وادي عربة (35)، وأرملة ميلون دي بلانسي، باتهام ريموند الثالث)Raymond III of Tripoli (36)، بالوقوف وراء اغتيال زوجها، ومع أن هذا الاتهام مبني على العداوة المستمرة التي كانت قائمة بين الرجلين، إلا أن هناك احتمال آخر وهو ذهاب ميلون ضحية عدم الاعتراف بالجميل ونتيجة لغضب سادة بيروت عليه، فعندما كان ميلون أسيراً قام الأمراء ببيع إقطاعياتهم من أجل إطلاق سراحه، ويبدو أن ميلون جريًا على عادته في التكبر ونكران الجميل والغرور لم يأبه بهم ولا بصنيعهم له، مما دفعهم للانتقام منه .(37)

ومن الجدير بالذكر أن عدم وجود دليل مادي يدين أحدً بقتل ميلون، أدى إلى عدم معرفة قاتله، بالإضافة إلى إلحاق تهمة قتله بمعارضيه دون بينة.

وقد شهد القرن الثالث عشر الميلادي، من جرائم القتل، حيث تدهورت وانعدمت العدالة، فقد كانت دائمًا بجانب الأقوى، لذا فقد انتشر الظلم في غياب الحق والعدالة، وسيطرة رجال الكنيسة ورجال الدين، وتبعيتهم للبابا الذي كان يأمر بفرض الضرائب الباهظة التي كانت تعود للكنيسة في نهاية الأمر، وشهدت تلك الفترة انتشار الفساد والقهر(38)، ويتضح من ذلك أن تلك الأوضاع التي مرت بها الإمارات الصليبية ببلاد الشام، كانت نتيجة حتمية لانهيار الأوضاع السياسية بداخل تلك الإمارات، وضعف قبضة السلطة المركزية .

ومن أشهر تلك الجرائم ما حدث عام 1219م، للأميرة ستيفاني ابنة ليو الأول الأرميني Leo I of Armenia (39)، (1198-1219م) فقد تزوجها جون أوف برين John of Brienneعام 1214م، وكان عنده ابنة تدعى يولاند، وكان

جون هو الوصي عليها حتى تبلغ السن القانونية لتولي العرش، غير أن ستيفاني أثبتت أنها زوجة أب سيئة، فقد عاملت الطفلة يولاند بقسوة، بل وحاولت وضع السم لها للتخلص منها، وعندما علم جون ذلك أخذ يبرح ستيفاني ضربًا لمحاولتها قتل ابنته حتى ماتت على أثر ذلك(40).

ويرجح مما قام به جون مع زوجته ستيفاني أنه كان شديد القسوة، نظرًا لكبر سنه مقارنة بزوجته صغيرة السن، ويظهر مدى تعلق جون بابنته يولاند، حتى أنه لم يتحمل معاملة زوجته القاسية لها، فأوسعها ضربًا حتى الموت، ولم يضع في حساباته أي اعتبار لما قد يجره ذلك من خلافات خارجية بين المملكة الصليبية والأرمن .

وكما قتل ريموند بن بوهمند الرابع أمير طرابلس، ننبه في البداية إلى أن سياسة بوهمند بعدما تسلم حكم الإمارة كانت تجنح إلى السلم والهدوء، غير أن حادث مقتل ولده كان له تأثير في تعكير صفو حياته، فلقد أقدمت جماعة الحشاشين على اغتيال ريموند بن بوهمند الرابع وذلك عام 1213م، في كاتدرائية العذراء المباركة بأنطرطوس (41)، وبذلك اتخذت الحرب الدائرة بين الصليبيين والإسماعيلية منعطفًا خطيرًا بعد تلك الجريمة(42)، وعلى الرغم من أن المصادر لم تشر إلى السبب الرئيسي وراء تلك الجريمة، إلا أنه يبدو أن جماعة الإسبتارية وراء تلك الحادثة(43)، لما كان بينهم وبين بوهمند الرابع من عداء واضح(44)، ويلاحظ أن الإسبتارية قد لوحوا للإسماعيلية بإعفائهم من الفدية المفروضة عليهم في مقابل قتل ريموند بن بوهمند الرابع(45)، وعلى الرغم من ذلك فقد آثر بوهمند أن ينتقم من الحشاشين، وألا يسعى للنيل ممن حرضهم على ما فعلوه وبخاصة أنه لم يكن لديه أي دليل يؤكد شكه فيهم (46)

ومن الملاحظ أن الصراع تطور بشكل واضح بين الفرق الرهبان الفرسان الصليبيين وأمراء الصليبيين، فقد حاولت تلك الفرق الاستقلال بشؤونها عن غيرها من القوى السياسية، بل وتطور الوضع بها إلى الخروج على تعاليمها واستخدام العنف في البطش بخصومها، حتى لو أدى إلى ارتكابهم الجرائم، ولو باستخدام عناصر الحشاشين في البطش

بأعدائهم حتى ينفوا التهمة عنهم، ويضاف إلى ذلك قوة المال حيث كان له تأثير كبير على العناصر المتنازعة داخل المجتمع الصليبي.

كما نكب بوهمند في ابن له آخر مات مسموماً بسبب الخلافات السياسية، ففي خريف عام 1225م، أضطر بوهمند الرابع أمير طرابلس إلى مصالحة علاء الدين كيقباذ سلطان سلاجقة الروم (1219م-1237م بعد طول عداء(47)، والذي كان يتحين الفرص للتوسع على حساب جيرانه الأرمن- واتفق معه على مهاجمة الأرمن، فبدأ كيقباذ في غزو قليقية معتديًا على كل سكان السهل، واستولى على أربعة حصون، رغم حصول قسطنطين(48) ملك الأرمن على مساعدة الإسبتارية والتيوتون، فأرسل قسطنطين إلى بوهيمند كي يأتي لأخذ ابنه من قلعة العمودين(49)، وعندما وصل بوهيمند إلى تل حمدون أبلغه الرسل بأنه لا جدوى من ذلك، فقد أمر قسطنطين بدس السم لفيليب بن بوهمند الذي مات بعد ذلك بقليل (50).

وتجدر الإشارة إلى أنه كان لتضارب المصالح الصليبية الأرمينية أثره في المجتمع الصليبي، فقد أثر العلاقات بين الطرفين، حتى اضطر كل من الطرفين أن يستخدم سلاح القتل للتخلص من الطرف الآخر حفاظًا على مصالحه

وفي عام 1244م، كان لمعركة غزة الثانية أثر كبير على المجتمع الصليبي، فعندما تمكن الخوارزميون من استعادة بيت المقدس من الصليبيين، أدى ذلك إلى غضب البابا في روما على ملك الصليبيين كونراد بن فردريك الثاني وذلك لفشله في الحفاظ على مملكة بيت المقدس، لذلك أرسل البابا إليه جماعة كي يغتالوه نتيجة لتخاذله، غير أن الملك الصليبي عرف الأمر، واحتاط لذلك فأجلس مكانه شخصاً أخر فاغتالوه، وتمكن الملك الصليبي من اعتقالهم وصلبهم جزاء عملهم الإجرامي (51) .

وهكذا نتج عن معركة غزة آثار خطيرة على المجتمع الصليبي، ومنها استرداد المسلمين لبيت المقدس مرة أخرى، مما أدى إلى سلوك البابوية مسلك المجرمين في التعامل مع تلك النتائج الخطيرة، وهو الإقدام على قتل ملك الصليبيين نتيجة لما ضاع منه. أما فيما

يتعلق بتفشي القتل في المجتمع الكنسي،فيلاحظ أن توجهات رجل الدين اختلفت تماماً عن هدفهم الأصلي وهو وعظ الصليبيين أثناء رحلة حجهم، إلا أننا نجد البابا يتآمر على قتل أحد الأمراء من أجل الفوز بمنصب دنيوي، ومن أجل فرض السلطة الكنسية على المجتمع الصليبي، وهذا إن دل فإنما يدل على انحراف تام عن الأهداف الأساسية لرجل الدين.

ومثال ذلك ما حدث مع بلدوين أمير الرها، عندما تحالف كل من الأمير تنكريد ومبعوث البابوية دايمبرت من أجل منع بلدوين من الوصول إلى مدينة بيت المقدس، من أجل إعتلاء العرش، وذلك بعد وفاة أخيه جودفري، غير أن بلدوين أستطاع الهرب من الكمائن التي نصبها له أعداؤه، ووصل سالماً إلى مدينة بيت المقدس، معتلياً عرش المملكة(52)، ويدل ذلك على محاولات الكنيسة المبكرة فرض سيطرتها وسلطتها على العلمانيين من جهة، ومن جهة أخرى التحكم في ذلك المجتمع الوليد بطريقة غير شرعية.

ومن النماذج الأخرى لتدخل رجال الدين في الشئون السياسية، وما نتج عنها من كارثة نتيجة لهذا التدخل، ما حدث بين كل من البطريرك ستيفن الشارتري Stephen of Chartres(1128-1130م) (53)، والملك الصليبي بلدوين الثاني (1118-1131م)، فقد جاء الراهب ستيفن إلى مدينة بيت المقدس حاجًا، وبقى بها حتى يؤذن له بالعودة مرة أخرى، وفى تلك الأثناء اجتمع رجال الدين بمملكة بيت المقدس لاختيار بطريرك جديد للمدينة، بعد وفاة البطريرك جورموند Germond (54) (1118- 1128م) ووقع اختيارهم على البطريرك ستيفن، وبعد تنصيبه بطريركًا أخذ يثير المتاعب في وجه الملك بلدوين الثاني(55)، وفي الوقت نفسه رفض الملك بلدوين الثاني ادعاءات ستيفن من أجل التنازل عن كل من مدينتي يافا وبيت المقدس والموافقة على تبعيتها لكرسي البطريركية، وهكذا تم إحياء النزاع القديم بين رجال السلك الكهنوتى والعلمانيين(56)، ذلك الصراع الذي لم يخمده إلا وفاة ستيفين العاجلة في أوائل سنة 1130م، حيث يرجح أن البطريرك ستيفن مات مسمومًا وذلك تلبية للرغبة الملكية في وأد التطلعات الكهنوتية في مهدها، قبل أن تخرج عن السيطرة(57)، ومما يقوي احتمال تورط الملك في قتل ستيفن الحديث الأخير الذي

دار بين الاثنين عندما زار الملك بلدوين الثاني ستيفن وهو على فراش الموت وسأله عن حاله، فأخبره ستيفن (إنني الأن يا مولاي في الحالة التي تتمناها لي)، وهو ما يقوي من تورط الملك بلدوين الثاني في تلك الجريمة(58) .

من ناحية أخرى أنعكس هذا الصراع الغربي على الأوضاع في الشرق اللاتيني Levant، وهو ما ظهر جليًا في الصراع بين البابوية والسلطة العلمانية الذي كان على أشده فى تلك الفترة، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في الصراع بين بطاركة بيت المقدس،وبين الملوك الصليبيين، فقد أراد البطاركة إخضاع السلطة العلمانية للسلطة الدينية، ونتج عن ذلك صراعات طويلة بين الطرفين، وأدى إلى ارتكاب العديد من الجرائم في سبيل تحقيق الأهداف الخاصة بكل جانب، خاصة عندما أراد رجال الدين التدخل في معترك الحياة السياسية، ومثال ذلك الصراع الذي قام بين كل من الملك بلدوين الأول ودايمبرت، وبين ستيفن الشارتري والملك بلدوين الثاني.

ولم تقف جرائم قتل رجال الدين عند ذلك الحد، بل امتدت للإمارات الصليبية الأخرى، ومنها ما حدث مع رادولف أو رالف أوف دمفرونت Ralph of Domfront (59) (1146م)، بطريرك إمارة أنطاكية، حيث اشتد الصراع بينه وبين ريموند الثاني Raymond II- (1124- 1130م)(60) أمير أنطاكية، وظهر رالف كمنافس لريموند في ذلك الصراع، غير أن ريموند استطاع استمالة بعض الأمراء بالإضافة إلى رجال الدين إلى جانبه، وتقدموا جميعًا بشكوى جماعية إلى البابا في روما، يشكون فيها سوء تصرف راولف، مما أدى إلى اضطرار الأخير إلى السفر إلى روما من أجل الدفاع عن نفسه أمام البابوية، وعندما أنهى مهمته في روما وعند عودة إلى إمارة أنطاكية مرة أخرى، وجد أعداءه من رجال الدين والأمراء في تزايد مستمر، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع في أنطاكية، فقامت البابوية بإرسال أحد مندوبيها إلى أنطاكية للتحقيق في الأحداث التي تدور هناك، فعقد ذلك المندوب مجمعًا في كنيسة القديس بطرس بأنطاكية في 30 نوفمبر1139م، حضره حشد كبير من رجال الدين من مختلف الإمارات الصليبية، وانتهى

ذلك المجمع بإدانة راولف وعزله عن منصبه، ولم يلبث أن قتل مسمومًا عام 1143م (61)، ويرجح أن ريموند وراء تلك الجريمة، ولكن بشكل غير مباشر، مستخدمًا في ذلك رجال الدين المناوئين لرالف، حتى لا ينازعه خصم في إمارته، وربما أراد من تقديم شكواه للبابا في روما أن يبرئ نفسه مما هو مقدم عليه بقتله لغريمه راولف .

أما بالنسبة للنظام الكنسي الموجود بالإمارات الصليبية، فقد كان عامراً بالفساد، وتبدلت أهدافه الدينية إلى أهداف دنيوية، مما دفع برجال الدين إلى ارتكاب الجرائم للحفاظ على المكانة التي وصلوا إليها، ومنها على سبيل المثال ما حدث لأحد كرادلة البابا هونريوس الثانيHonorius II (1124- 1130م)، الذي قام بإرساله إلى الإمارات الصليبية ببلاد الشام. للنظر في أحوال الكنائس بها، غير أن هذا الكاردينال ما لبث أن وصل إلى مملكة بيت المقدس، وباشر مهامه في البحث والتفتيش على الكنائس، حتى أدركته المنية فجأة، وقد أشيع أنه قتل بالسم، مما أدى إلى غضب البابا في روما، فقام بإرسال أحد مندوبيه الأربعة الكبار، فعزل البطريرك الأنطاكي، وأقام بطريركًا أخربدلاً عنه (62).

وهكذا يتضح لنا من تلك الجريمة أن الفساد انتشر في النظام الكنسي في الإمارات الصليبية، مما حدا بالبطاركة إلى التخلص من مبعوثي البابوية حتى لا يكشف الفساد الذي هم عليه، مما أثار غضب البابا عليهم، وقام بإرسال رجل أخر لم يستطيعوا التعرض له، مما كان له أكبر الأثر في صدور قرارت حرمان ضد الصليبيين في الساحل الشامي، ويضاف إلى ذلك تبدل ؛طبيعة الدور الديني لرجال الدين الصليبيين، وانشغالهم بالأمور الدنيوية، ومحاولة فرض السيطرة الكنسية على السلطة السياسية، مما كان له أكبر الأثر في تورطهم في ارتكاب الجرائم مثلهم في ذلك مثل بقية أفراد المجتمع الصليبي، وتكملة لمسيرة الفساد الكنسي ما حدث مع وليم الصوري (63) William of Tyre رئيس أساقفة مدينة صور، في الصراع بينه وبين البطريرك هرقل(64). فعندما تولى هرقل بطريركية بيت المقدس، إذا به يعلن فجأة ودون سابق إنذار توقيع قرار الحرمان ضد وليم الصوري دون محاكمة ودون أي حق له، مما يخالف سنن العدالة (65). وعندما استشعر وليم الصوري الظلم، لجأ إلى البابا في

روما لحسم قضيته، لكي يظل في وظيفته، وقد كللت مجهوداته بالنجاح(66) وفي أثناء ذلك كان البطريرك هرقل قد قام بتكليف أحد الأطباء بمرافقة وليم أثناء رحلته إلى روما، وذلك لوضع السم له مقابل مبلغ من المال، واستجاب الطبيب لتلك الرشوة المالية، ورافق وليم إلى مرسيليا ثم إلى جيفودان Gevaudan حيث توفي عام 1186م، ولما بلغ هرقل خبر الوفاة كر عائدًا إلى مملكة بيت المقدس (67)

ومن الملاحظ أن الصراع بين رجال الدين داخل المجتمع الصليبي كان على أشده، مما أدى إلى اتخاذ أطرافه أساليب لا تتناسب مع مكانتهم داخل المجتمع الصليبي لحسم القضايا لصالحهم، وتطور ذلك الأمر إلى حد استخدام القتل كوسيلة من وسائل حسم الصراع للفوز بمنصب كنسي.

ويلاحظ أيضًا من تلك الجريمة ترابط كل من جريمتي الرشوة والقتل، فقد تم استخدام الأولى كوسيلة لتنفيذ الثانية، مما يدل على تزامن وقوع الجرائم المختلفة داخل الكيان الصليبي في وقت واحد، بل وتداخلها في بعض الأحيان كما في تلك الجريمة.

وقد تنوعت وسائل القتل لدى الصليبيين، فهناك القتل بالسم، أو بالخنجر إلى غير ذلك، ومن أمثلة القتل بالسم ما حدث للملك الصليبي بلدوين الثالث، فعندما كان فى أنطاكية في آخر زيارة له، أراد أن يتناول دواء كان معتادًا احتفاظه به قبل حلول فصل الشتاء، لذلك حصل على حبات دواء من طبيب سرياني يدعى باراك Barak ؛وهو الطبيب الخاص بالأمير ريموند الثالث أمير طرابلس، وذكر وليم الصوري بأنه كانت هناك شائعات بأن حبات الدواء كانت مسمومة، وربما كانت تلك هى الحقيقة، لأنه تم تجربة باقى تلك الحبات بوضعها لأحد الكلاب، فمات ذلك الكلب بعد عدة أيام، وبمجرد أن تناول الملك بلدوين الدواء أصيب بحمى شديدة، وعندما أخذت حالته تتدهور، ترك مدينة أنطاكية إلى طرابلس ومكث هناك عدة شهور ساءت فيها حالته الصحية، وعندما شعر بدنو أجله طلب أن يحمل إلى بيروت وتوفي هناك في 10 فبراير 1162م، في سن الثالثة والثلاثين، وذلك بعد موت أمه الملكة مليزندا بعدة شهور فقد ماتت الملكة في 11 سبتمبر

1161م، ويرجح أن الملك بلدوين الثالث مات مسمومًا على يد حزب أمه الملكة مليزندا الذي كان على رأسه ابنها عموري، لأن الملك بلدوين الثالث لم يقم بتصفية حساباته مع كل أنصار مليزندا، وكان الملك يراعى شعور أمه رغم إبعادها عن الحكم، ولذلك يبدو أنه بعد موت مليزندا خاف أنصارها من انتقام بلدوين الثالث منهم، فدبروا موته بهذه الطريقة، إذ لم يبق في الحكم بعدها سوى ستة أشهر فقط (68)

وتوضح لنا تلك الحادثة أن الأمراء الذين كانوا ناقمين على الملك الصليبي، ولم يكن بمقدورهم الوقوف في مواجهته مباشرة أو معارضته، كانوا يستخدمون السموم في التخلص من أعدائهم، فمنها سهولة وضعها للخصم المنافس لهم، ومنها أنهم يستطيعون نفي التهمة عنهم، وهو ما كان يحدث بالفعل.

وبتحليل تلك الحادثة، نجد أن الحالات المرضية الناتجة عن الإصابة بالتسمم قد تزايدت بشكل واضح داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وبالتالي يمكن إدراك أن أنواع السموم المختلفة قد استعملت من أجل الفتك بالقيادات السياسية الصليبية المتصارعة والمتنافسة، وقد وقف الطب الصليبي عاجزًا عن علاجها على نحو أدى إلى وفاة المتسمم في النهاية دون أن تقدم له أية وسيلة لإنقاذ حياته من الهلاك باستثناء بعض الحالات الخاصة، والواقع أن معرفة الصليبيين بأنواع السموم كانت جيدة، بل إنهم استعملوا تلك السموم فى الفتك بالحيوانات المفترسة التي وجدوا صعوبة في اصطيادها مثل الفهود وغيرها(69).

وقد تقدمت صناعة السموم داخل المجتمع الصليبي، فوجد بالقرب من مدينة أريحا حقل صغير لتربية الثعابين والأفاعي من أجل استخراج السموم، وقد كان يتم في هذا الحقل اصطياد جميع أنواع الثعابين والأفاعي السامة، وذلك من أجل تربيتها ثم بعد ذلك تباع في المدن ويقوم بشرائها من هم متخصصون فى صناعة أنواع العلاجات المختلفة من الثعابين وكذلك أنواع السموم المختلفة (70) .

وخلال تلك الأحداث أحاط ملوك الصليبيين أنفسهم بسياج أمني محكم، يتكون من عدد كبير من الحراس المدججين بأنواع الأسلحة المختلفة، حتى صار من الصعب النيل

منهم، لذلك ظهرت طرق وأساليب متعددة لخرق هذا الجدار الأمني بغرض التنكيل بهم، منها دس السم لقتل الخصم، وقد صارت هذه الطريقة شائعة آنذاك. وعلى الرغم من أن ملوك الصليبيين احتاطوا لأنفسهم لئلا يقعوا ضحية لذلك، قام الخصوم بدس السم في الأطعمة والأشربة المعدة لهم، لذلك خضعت تلك المأكولات والمشروبات لرقابة أمنية مشددة وفحص دقيق من الأطباء الأمناء(71).

وعرف المجتمع الصليبي جميع أنواع السموم، فهناك السموم النباتية والتي تمثلت في نبات الخشخاش والأفيون، والسموم الحيوانية والتي تم استخراجها من الخنفساء والضفدع البري والأفاعي السامة، ثم يلي ذلك السموم المعدنية والتي كان أشهرها الزرنيخ (كبريت الزرنيخ)، وقد اختلفت درجة سمية تلك الأنواع بحسب اختلاف نوعيتها ومقدار الجرعة التي كان يتم دسها للشخص المطلوب القضاء عليه، وقد نتج عن حالات التسمم أعراض مختلفة مثل القيء والإسهال أو العطش الشديد، وظهور آلام شديدة على الشخص المصاب(72)

وقد تفشي استخدام السموم في جميع فئات المجتمع الصليبي من الأمراء العلمانيين إلى رجال الدين وانتهاءً بطبقة العامة، واستخدمت السموم ضمن الصراع على السلطة بين الأمراء العلمانيين، كما كانت السموم هي السلاح المفضل لرجال الدين في صراعاتهم التي لا تنتهي حول المناصب الدينية المرموقة(73)، غير أنه من المفترض أن هناك حالات للإصابة بالسمية لدى قطاعات من المجتمع الصليبي خارجة عن نطاق القيادات السياسية والدينية، لم تشر إليها المصادر التاريخية الصليبية وتجاهلتها، ومن زاوية أخرى يلاحظ من خلال نصوص المصادر التاريخية الصليبية التي وصلت إلينا أن حالات التسمم المذكورة كانت فردية، ولم تكن هناك حالة واحدة تتسم بالطابع الجماعي طوال فترة تواجدهم ببلاد الشام، وبالتالي فضحايا تلك الحالات كانوا متناثرين وموزعين على مرحلة زمنية ممتدة، ولم يكونوا مركزين في مرحلة واحدة(74)، وقد أشار إليها جاك دفيتري كظاهرة متفشية .(75)

وقد انتشرت حالات الإصابة والقتل عن طريق السم بشكل كبير بين فئات العامة في القرن الثالث عشر، وخاصة في النصف الثاني منه، ونخص بالذكر مدينة عكا حيث كانت

تشهد جرائم قتل بالسم بمعدل مرتفع يوميا، فكان الزوج يقتل زوجته إذا فقد رضاها، وكانت الزوجة تقتل زوجها بالسم لكي تتزوج من غيره، وبذلك انعدمت الثقة تماما بين فئات المجتمع، وجاء ذلك دليلا على التفكك الأسري على الرغم من أن الأسرة ذاتها نواة المجتمع، والذي ساعد على انتشار القتل عن طريق السم، هو وجود تجار لتلك السلعة، كانوا يبيعون تلك السموم والمواد القاتلة الأخرى، بل وصل الأمر للتطور في صنع تلك السموم أن صانعي تلك المواد القاتلة، كانوا يربون في بيوتهم بعض الحيوانات، وكان يصنع من روثها نوعاً من السموم، وكل من أراد التخلص من عدوه كان يجد كل ما يشتهيه لقتله، بحيث يتألم لمدة سنة إذا أراد القاتل ذلك، أو لمدة شهر أو لمدة يوم، إذا ما أراد له موتًا عاجلا كما قرر البعض(76).

ويرجح أن الحرمان العاطفي كان له دوره في انتشار جريمة القتل بين الأزواج، فقد كانت المرأة تلجأ إلى قتل زوجها عندما كانت تعيش في مثل هذه الحالة، كما وأن الغيرة النسائية كان لها دورها في قتل المرأة زوجها إذا علمت أنه على علاقة بامرأة أخرى، وبذلك انتشر داخل المجتمع الصليبي كثرة العلاقات غير الشرعية، وعلى ضوء تلك العلاقة أيضا كان الزوج يقوم بقتل زوجته عندما يعلم أنها على علاقة برجل غيره، وكانت تلك العلاقات غير السوية منتشرة بكثرة داخل المجتمع الصليبي وذلك بسبب توافد الحجاج بشكل مستمر على الأراضي المقدسة والمدن الشامية التي خضعت للسيطرة الصليبية. ويضاف إلى ذلك سوء الأوضاع الاقتصادية بالمدن الصليبية وانتشار البطالة(77)، كل تلك المظاهر كان لها دور في تفسخ العلاقة الأسرية، وزيادة معدل العنف بين الأزواج، ومنها اللجوء إلى القتل كحل سريع لإنهاء المشاكل الاقتصادية .

وقد حدث تطور كبير في صناعة السموم بمدينة عكا الصليبية، فقد تفنن صانعو السموم في صناعة أنواع مختلفة ومتعددة منها، وقد راجت تلك السلعة بشكل كبير، ونتج عنها ارتفاع معدل جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي، ومن ناحية أخرى زادت أرباح التجار من وراء المتاجرة فيها، وبعد أن كان الصليبيون يستخدمون تلك السموم بوضعها في السهام

والسكاكين في فترة تواجدهم ببلاد الشام، للقضاء على أعدائهم المسلمين)، أصبحوا يقتلون بها بني جلدتهم. (78)

ومن حوادث الاغتيال السياسي الغامضة التي ورد فيها السم كأداة لها، ما حدث عام 1148م، مع ألفونسو جوردان Alfonso Jordan كونت تولوز، وهو الابن الأكبر لريموند الصنجيلي الذي حارب في الحملة الصليبية الأولى، عندما رست سفينته في ميناء عكا، وبينما كان في طريقه إلى بيت المقدس لأداء واجب الشكر على نجاح رحلة حجه، توقف عند مدينة قيسارية الساحلية، حيث تم استدعاؤه إلى مدينة طرابلس، غير أنه سرعان ما داهمه مرض توفي على إثره، وترددت الشائعات بأنه مات مقتولا بالسم بيد خصوم ريموند أمير طرابلس (79).

ومن المرجح أن ألفونسو كان له أعداء كثيرون، على الرغم من أنه كان يعيش في إمارته في فرنسا، وعندما قدم إلى بلاد الشام استشعر بعض أمراء الصليبيين خطورة تواجد ألفونسو في بلاد الشام على مراكزهم السياسية، فتم التخلص منه بطريقة سريعة وهى وضع السم له، مما أدى إلى وفاته ومن ثم التخلص من منافس عنيد.

وفيما يخص دور المرأة في جريمة القتل، فقد كان للمرأة دور مهم في جريمة القتل، ومن أمثلة ذلك ما كان من نزاع زوجى وخلافات شديدة بين ريموند الثاني أمير طرابلس (1137-1152م)، وزوجته هودرينHodriene ، الابنة الثالثة للملك الصليبي بلدوين الثاني، وأخت الملكة مليزندا، وقد بلغت العلاقة الزوجية بينهما درجة كبيرة من السوء وذلك في أوائل عام 1152م، مما استوجبت معه تدخل الملك الصليبي بلدوين الثالث وأمه الملكة مليزندا، بحكم الصلة العائلية لفض ذلك النزاع، وسافر بالفعل كل من الملك بلدوين والملكة مليزندا إلى إمارة طرابلس، غير أن نصائحهما لم تحقق نفعًا، وصحبت مليزندا أختها هودرين إلى مدينة نابلس، بينما ظل الملك بلدوين الثالث بعض الوقت في طرابلس، ولم تكد كل من هودرين ومليزندا تبتعدان كثيرًا عن مدينة طرابلس، حتى قتل ريموند الثاني بأيدي جماعة من الحشاشين، وصورة قتله أنه أثناء عودته من المدخل الجنوبي لعاصمته وعند دخوله

بوابة الولاية، هجم عليه جماعة من الحشاشين وطعنوه بخناجرهم، فسقط على الأرض مفارقًا الحياة، ولقد حاول أحد الفرسان المرافقين له ويدعى رادولفوس دي مارلو Radulphuse de Marlo الدفاع عنه، غير أنه لقي مصرعه هو الآخر، وحينذاك تعالت الأصوات والصياح فاندفع رجال الحامية بسلاحهم وتدفقوا في الشوارع يذبحون كل من يشاهدونه من المسلمين انتقاما لمقتل سيدهم، وكان من ضمنهم جماعة الحشاشين التي اغتالت ريموند، وبالرغم من أن هودين عادت بسرعة لتذرف الدمع على زوجها القتيل، إلا أن ذلك لم يعفها من بعض الاتهامات والشكوك في تآمرها على قتل زوجها(80) .

ولم تتوان القيادات الصليبية في الاتصال ولو سراً بعناصر الحشاشين للتخلص من أعدائهم، وذلك حتى يحافظوا على مظهرهم الاجتماعي ومكانتهم السياسية داخل المجتمع الصليبي، بل ولجوء الزوجة أيضا إلى عمل اتصالات سرية مع القتلة من أجل التخلص من زوجها،ويضاف إلى ذلك ما نتج عن تلك الجريمة، وهى جريمة أكبر منها وأعني بذلك عملية القتل الجماعي والعشوائي للمسلمين داخل المدينة، وذلك بعد وقوع الحادثة مباشرة، وكان هدفهم قتل الجناة قبل هروبهم، ويضاف إلى ذلك الانتقام من المسلمين الموجودين داخل المدينة مع عدم وجود مبرر قوي لذلك .

أما فيما يتعلق بالعقاب بالقتل بسبب الجرائم السياسية أو الخيانة، فهو ما سوف نطرحه في تلك الحادثة، فقد شب نزاع بين كل من الملك الصليبي بلدوين الثالث وجيراردجارنييه 1171م Gerard Grenier أمير صيدا(81)، ووصل ذلك النزاع إلى درجة كبيرة من السوء بين الاثنين، فقد نما إلى علم الملك الصليبي أن جيرارد قد خرج عن طاعته، وأحضر عددًا من المراكب استعان في قيادتها ببعض القراصنة، وقام بعمليات سلب ونهب لسائر المراكب التي كانت تحمل الحجاج المسيحيين والقادمة إلى الأراضي المقدسة بهدف الحج والزيارة، مما أدى إلى استياء الحجاج المسيحيين من ذلك التصرف، وتقدموا بالعديد من الشكاوى إلى الملك الصليبي، غير أن جيرارد لم يرتدع، فقام الملك بلدوين الثالث بطرده من بارونيته وفقًا لقانون التبعية الإقطاعية، فأتجه جيرارد إلى أنطاكية متبعًا نفس

أسلوب القرصنة، فطرده أيضًا أميرها، فلم يجد جيرارد أمامه سوى نور الدين محمود (1146-1174م)، فلجأ إليه، ورحب به نور الدين محمود خاصةً بعدما وعده جيرارد بالتعاون معه ضد الصليبيين، واشترك جيرارد في معارك كثيرة بجانب المسلمين ضد الصليبيين، مما أثار غضب الملك بلدوين الثالث، فصمم على التخلص منه وبالفعل نجح في القبض عليه، حيث كبله بالأغلال واصطحبه معه إلى مملكة بيت المقدس في طريق عودته، وهناك تمت محاكمته وإدانته وحكم عليه بالموت حرقًا بالنار (82).

ومن تلك الحادثة يتضح حالة التعاون بين بعض العناصر الصليبية وبين المسلمين ضد الصليبيين، وأنه عندما كان يتم الإيقاع بتلك العناصر التي ساندت المسلمين، كانت تقام لهم محاكمة عاجلة، ويتم فيها تطبيق عقوبة القتل بطريقة وحشية، ومنها الحرق لإرهاب من تسول له نفسه التعاون مع المسلمين مرة أخرى. ولا ريب في أن الصليبيين نظروا إلي من يقدم علي ذلك بأنه خائن لهم .

ونستنتج من ذلك أيضًا أن عهد الملك بلدوين الثالث كان أكثر عهود المملكة الصليبية التي شهدت حالات قتل أو محاولات للقتل، ويرجع ذلك إلى الحرب الأهلية التي وقعت بين بلدوين الثالث من جهة وأمه الملكة مليزندا وأخوه عموري من جهة أخرى، وما نتج عن تلك الحرب من حالة فوضى أمنية واضحة أدت إلى شيوع أسباب الجريمة داخل المجتمع الصليبي، وكثرت حالات الثأر الشخصي داخل المجتمع الصليبي، نتيجة شعور المجرم بصعوبة تعقبه .

ويتضح من خلال سرد تلك الجرائم على مدى القرن الثاني عشر الميلادي، تطور جريمة القتل ودوافعها تطورًا كبيرًا، فمنذ بداية احتلال الصليبيين للمدن الساحلية الشامية، كان لديهم حماس كبير لقتل كل ما هو غير صليبي، بداية من قتل اليهود وحرقهم بالنار، ثم إقامة المذابح للمسلمين المسالمين بالمدن الشامية، ثم قتل العناصر المسيحية الشامية المخالفة لمذهب كنيسة روما الكاثوليكية،والتي لم يفرقوا بينها وبين المسلمين، ويدل ذلك على مدى التعصب الأعمى الذي تملكهم، وتطورت جريمة القتل بشكل آخر داخل المجتمع الصليبي

نفسه، فقد كان القتل يتم لأسباب سياسية ومنها الرغبة في الاستيلاء على منصب معين، أو التخلص من قائد بعينه، ثم انتقلت جريمة القتل داخل المجتمع الكنسي لتخرج رجال الدين عن وقارهم ودورهم المعروف في إرشاد الناس ونصحهم، وذلك من أجل الوصول لأعلى المناصب الكنسية وما يحققه ذلك من نفوذ وثروة كبيرة، وشيوع القتل أيضًا بين أفراد الطبقة الحاكمة من النبلاء والملوك الصليبيين بهدف إزاحة المنافسين لهم وتحقيق سيطرتهم الكاملة على رعيتهم، ومنها الشك في الولاء كما في حالة كونراد مونت فرات مع أطبائه، بل إن الخلافات الزوجية كان لها دورها في ارتكاب جريمة القتل بين الطبقة الحاكمة . أما عن جريمة القتل الجماعي فمنها ما قام به المركيز كونراد أوف مونتفرات Conrad of Montfort (83)، فقد حدث أن وقع المركيز كونراد فريسة لمرض كان يعاوده من فترة لأخرى، غير أن تلك المرة التي جاءته فيها نوبة المرض كانت أشد من سابقتها. ولما كان كونراد محاطًا بالأعداء من كل جانب، فقد ثارت شكوكه بكل من حوله، وتخيل أن الأطباء المعالجين قد دسوا السم له في الشراب، فأصدر قرارا بحق هؤلاء الأطباء، وهو قتلهم جميعًا نتيجة لأمر لم يفعلوه، وبرغم من أن الدواء الذي أعطوه له كان فيه شفاؤه(84) .

وهكذا كان الشك بأي شخصية مهما كان منصبها كان يؤدي إلى مقتلها على الفور، وخاصة وقت الأزمات حتى أدى ذلك إلى اتساع عدم الشعور بالأمان من جانب العديد من الشخصيات. فقد كان من المتوقع قتلهم في أي وقت وبأى طريقة لمجرد الشك في سلوكهم. كما تبرز تلك الحادثة أن المركيز لم يلتفت إلى أية قوانين لمعاقبة المتهمين، بل إنه أصدر الحكم على الفور وتم تنفيذه دون أي معارضة من أحد .

ومهما يكن من أمر، فقد قتل كونراد أوف مونتفرات، بعد قليل أثناء الحملة الصليبية الثالثة، فملوك أوربا الذين شاركوا في هذه الحملة الصليبية، حملوا معهم ضغائنهم وأحقادهم الشخصية وصراعاتهم العرقية إلى بلاد الشام(85)، فقد انقسم المعسكر الصليبي أثناء الحملة الصليبية الثالثة إلى فريقين، فريق يؤيد جاي أوف لوزيجنان Guy of Lusignan (86)، يدعمه الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد(87)،

والفريق الآخر يؤيد كونراد أوف مونتفرات بزعامة فيليب أوغسطس(88)، ملك فرنسا لزعامة مملكة بيت المقدس الصليبية، وتم عقد مؤتمر بالفعل بين المتنازعين تقرر فيه تولي كونراد لعرش المملكة الصليبية، أما جاي لوزيجنان فقد باع له ريتشارد قلب الأسد جزيرة قبرص وذلك تعويضًا له عن ملكه الضائع في مملكة بيت المقدس (89) .

ومن المرجح أن الصراع على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية كان على أشده بين قيادات المملكة، والذي كان ينذر بحدوث صدامات بين الصليبيين، ونظرًا لأهمية تدخل ملوك أوروبا لكي يتم حسمها، فقد أفرزت ما كان عند الصليبيين من حزازات وصراعات خطيرة فيما بينهم، كانت من العوامل الأساسية لتدهور وضعهم السياسي وطردهم من أهم بلاد الشام بالكامل في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي.

وجدير بالذكر، أن أهم أسباب قدوم جاي لوزيجنان إلى بلاد الشام، ما قام به عام 1168م من مهاجمة حراسة ملكة إنجلترا وقتل قائد الحرس، فكان العقاب هو إرساله إلى بيت المقدس لكي يدخل في خدمة الملك الصليبي بلدوين الرابع(90) .

غير أنه في أبريل عام 1192م، تم اغتيال كونراد بالقرب من منزله(91)، وصورة مقتله كانت كالتالي، عندما كان كونراد في وواقعة يوشك بالعودة إلى عسقلان لكي ينضم للجيش الصليبي هناك، إذا به يتلقى دعوة لتناول الغداء مع أسقف بوفيه(92)، وبينما كانت زوجته في الحمام وقد أشتد به الجوع، ذهب إلى الأسقف حتى تفرغ من اغتسالها، وبعد لقائه بالأسقف وأثناء عودته إلى داره، كان هناك رجلان من الحشاشين موجودين، وقد جلس كل منهما على جانب من الزقاق تجاه بعضهما البعض، فلما صار المركيز بينهما انتصبا واقفين لمقابلته، وتقدم إليه أحدهما وبيده ورقة كأنما يعرضها عليه، فمد المركيز يده لأخذها فاستل الرجل خنجره وأغمده في صدر كونراد(93)، وقتل كونراد على الفور فقد كان الخنجر الذي طعن به مسمومًا، أما فيما يتعلق بالقاتلين(94)، فقد ألقي القبض علي أحدهما فوراً وتم قطع رأسه، أما الثاني فقد لجأ إلى كنيسة من الكنائس مستجيرًا بها، إلا أن أهلها أخرجوه وتم سجنه في وسط المدينة حتى فارق الحياة(95)، وربما هدف

الصليبيون من وراءسجنه إذلاله جزاء لما ارتكبه من جريمة، وأيضاً حتى يكون عبرة لغيره .

من الملاحظ أن اغتيال كونراد كان موضع جدل قديمًا وحديثًا، نظرًا لما أثارته تلك الشخصية من مشكلات وأزمات خاصة داخل الكيان الصليبي، حتى أمتدت أصابع الاتهام إلى العديد من من الشخصيات، وعلى الرغم من أن ريتشارد قلب الأسد، حضر المؤتمر الذي عقد من أجل الفصل في قضية ملك مملكة بيت المقدس، يرجح أنه كان غير راضٍ عما جرى في المؤتمر أو النتائج التي أفضى إليها من تولي كونراد عرش المملكة الصليبية واستبعاد جاي لوزيجنان عن بيت المقدس، مما أثار حفيظة ريتشارد فأراد الانتقام بقتل كونراد عن طريق الحشاشين، ويلاحظ أن كونراد كان له دور معاون في عملية اغتياله، فقد ساعد قاتليه على تنفيذ مهمتهم بكل سهولة، وذلك بعدم اتخاذه الاحتياطات الأمنية اللازمة، في الفترة التي كان أعداؤه في ازدياد بشكل مستمر، والجميع يريد القضاء عليه، سواء أكان من الصليبيين بسبب مشكلة عرش مملكة بيت المقدس، أم من المسلمين بسبب حمايته لمدينة صور وامتناعها عليهم، أم من الحشاشين الذين أرادوا الانتقام لما حل بسفينتهم التي استولى عليها رجاله ورفضوا ردها .

وقد تعددت الأراء وتباينت حول أسباب مقتل كونراد في تلك الظروف وذلك التوقيت، فمن تلك الأقاويل أن الإسماعيلية أقدموا على قتل كونراد، عندما اعترض رجاله سفينتهم التي كانت تحمل تجارة لشيخ الجبل راشد الدين سنان(96)، وكانت قد أخذت طريقًا تجاريًا في البحر المتوسط، فأسرها رجال كونراد بمن فيها، وعندما فشل راشد الدين سنان في مفاوضة كونراد على استعادة السفينة ورجاله الأسرى ورد أمواله؛ كان قرار سنان هو قتل كونراد جزاء لما اقترفه (97)

ورأي آخر يقول إن صلاح الدين كان وراء اغتيال كونراد، ذلك أن صلاح الدين راسل راشد الدين سنان لكي يقوم بقتل الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وإن قتل كونراد فله عشرة آلاف من الدنانير، وعندما لم يتمكنوا من قتل الملك الإنجليزي قاموا بقتل كونراد وذلك حتى لا يتفرغ صلاح الدين لهم، ويبقى دائمًا في صراعات

مع الجيوش الصليبية (98)

ومن الجدير بالذكر أن ابن الأثير جعل صلاح الدين الأيوبي وراء جريمة قتل كونراد، وأنه وراء محاولة اغتيال الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، ويرجح الباحث أن هذا الرأي غير مقبول، لأن الصراع كان على أشده بين كل من كونراد وبين ريتشارد قلب الأسد، مما يجعله المرشح الأول وراء اغتيال كونراد بأيدي الحشاشين.

أما الرأي الثالث وهو من أرجح الآراء، أن الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد وراء هذا الحادث، فربما قام ريتشارد بذلك حتى تتهيأ له الساحة في الأراضي الشامية من جهة، ومن جهة أخرى لينفرد هو بزعامة الصليبيين في الأراضي المقدسة، وذلك بالتخلص من منافس خطير مثل كونراد(99)، أما الشق الثاني من هذا الرأي فهو أن الملك الإنجليزي ليس وراء هذا الحادث، وذلك للرسالة التي أرسلها راشد الدين سنان إلى الدوق ليوبولد صاحب النمسا، يشرح له فيها أن الملك ريتشارد ليس له علاقة بموضوع الاغتيال، وأنه هو المسئول عن هذا الاغتيال نتيجة لما قام به كونراد من مصادرة سفينته، بل ويقر راشد الدين في رسالته على مسئولية كونراد عن مقتل رينالد أمير صيدا .(100)، وإن كان الحادث لا يخلو من شكوك حول تورط ريتشارد في الحادثة وإن لم يوجد دليل قوي ضده (101)

إن أمر تلك الرسالة التي بعث بها رشاد الدين سنان إلى دوق النمسا لمحير بالفعل، فلماذا يرسل راشد الدين سنان تلك الرسالة إلى دوق النمسا في ذلك الوقت ؟، وأيضًا لماذا يدافع عن ريتشارد وينفي عنه مسئولية مقتل كونراد، بل ويكشف عن جريمة أخرى هي اغتيال كونراد لرينالد أمير صيدا، يرجح من وراء إرساله هذه الرسالة عدة أمور؛ أولا: أنه أراد أن يكتسب حليفًا جديدًا ممثلا في شخصية ليوبولد دوق النمسا وهو شخصية جديدة على مسرح الأحداث ببلاد الشام، ثانيًا: أراد الاستفادة بنشر الفرقة بين الصليبيين بتوضيح تلك المعلومات، وإبرازه دور كونراد في اغتيال رينالد أمير صيدا حتى يدخل الصليبيين في صراعات فيما بينهم بسبب تلك القضية، وتخف وطأتهم عليه.

وترجح بعض الدراسات التي تناولت حادثة اغتيال كونراد مونتفرات، أن هنري

كونت شامبانيا هو الذي دبر أمر اغتيال كونراد، وذلك من أجل الحصول على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، عن طريق الزواج من أرملة كونراد وإن لم يتوج- مثل كونراد- حتى وفاته، على الرغم مما فعله بكونراد(102)

ومن جرائم القتل الجماعي التي تمت في القرن الثالث عشر الميلادي، ما تم عام 1233م، عندما أقدم قسطنطين ملك الأرمن وابنه هيثوم الأول على قتل عناصر من الداويةTemplars، فقد تشكك كل من قسطنطين وهيثوم في أن جماعة الداوية تدبر مؤامرة للإطاحة بهما من على عرش الأرمن، ولذلك قام قسطنطين باعتقال بعض أعضاء الجماعة وأمر بإحراقهم أحياء وشنق البعض الآخر منهم(103)

ومن الملاحظ أنه مع قدوم القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، انتشر الشك داخل المجتمع الصليبي وخاصة المؤسسة العسكرية وعلاقاتها الخارجية بالقوى المجاورة، وبالأخص بالأرمن، ويرجح أن سبب ذلك هو شعور الصليبيين بتدهور مجتمعهم من الجانب الداخلي والخارجي على حد سواء، وكان من نتيجة انتشار الشك في الولاء القيام بعمل تهوري وقاس، مثل القتل بالحرق وهي ميتة بشعة انتشر العمل بها لمجرد الشك في ولاء التابعين .

وقد كان للعلاقات المتوترة بين الأمراء الصليبيين أكبر الأثر في تدهور الوضع الأمني في الإمارات والمدن الصليبية. وفي عام 1258م . اتسعت حدة الخلافات بين كل من بوهمند السادس أمير طرابلس وبين تابعه برتراند أمير جبيل، فلقد عمل هنري أمبرياكو Henry Ambriaco (104) (1252-1262م)على الاستقلال بمدينة جبيل بعيدا عن سلطة سيده بوهمند أمير طرابلس، بل لقد تطور الأمر إلى مهاجمة برتراند حاكم جبيل لسيده بوهمند في مقر داره بطرابلس. (105)

وقام برتراند بتعبئة قواته لمهاجمة طرابلس، وبالفعل تقابل مع بوهمند خارج طرابلس وتمكن من هزيمته، بل وإصابته بجرح خطير، غير أن بوهمند تمكن من العودة بصعوبة إلى طرابلس بعد هزيمته أمام برتراند، وبعدما تعافى بوهمند من إصابته فكر جديًا في الانتقام من

برتراند، فقام بعمل ترتيبات سرية من أجل القضاء على برتراند بالتعاون مع فلاحي القرى، من أجل أن يأتوه برأسه، وفي أحد الأيام وبينما كان برتراند خارجا لتفقد قراه مصطحباً معه أحد الفرسان، وكان في بعض الطريق انحدار خطير ومن خلفه سور لأحد مزارع العنب، وعندما مر برتراند من تلك المنطقة وثب عليه حوالي اثنى عشر نفرًا من الفلاحين وصوبوا سهامهم نحوه، فحاول الفرار غير أنه سقط عن جواده وأصابته السهام في جميع أنحاء جسده حتى سقط جثة هامدة، وقطعت رأسه ثم قتل الفارس الذي كان مصاحبًا له، وأرسلت رأسي الإثنين إلى بوهمند في سلة مصنوعة من الأغصان، وقد ابتهج الأمير بوهمند لذلك كثيرًا وقام بإجزال العطاء للقتلة .

من الملاحظ أن العلاقات بين أمراء الصليبيين خلال القرن الثالث عشر الميلادي، كانت عامرة بالتوتر والصراعات العنيفة، والتي تمثلت أسبابها في؛ دوافع خارجية ظهرت في ضغوط المسلمين من أجل استعادة أراضيهم المحتلة من قبل الصليبيين، ودوافع داخلية تمثلت في نوعية المهاجرين الجدد وما صاحبهم من فروق مختلفة عن المجتمع الصليبي في بلاد الشام(106)، حتى لجأ الأمراء إلى أسلوب قتل أعدائهم عن طريق تابعيهم، بعدما عجزوا عن مواجهة أعدائهم أو قهرهم في ميدان المعارك والحرب المباشرة، وقد استخدموا في ذلك سلاح الرشوة الذي كان له سحر خاص في تطويع التابعين لخدمة سادتهم، بل وتطويع القتلة المحترفين سواء أكانوا من الصليبيين أم من المسلمين لأداء أغراضهم، ويلاحظ أيضاً ترابط كل من جريمة الرشوة والقتل، حيث استخدمت الرشوة كثيرًا من أجل القتل .

وفي خلال فترة الهدنة عام 1282م، كان بوهمند السابع قد عقد العزم على الانتقام من جاي الثاني أمبرياكو Guy II Embericao (107) (1271-1282م) حاكم جبيل، الذي ألحق به عار الهزيمة من قبل، في حين كانت انتصارات جاي المتوالية على قوات إمارة طرابلس قد شجعته على مهاجمة تلك الإمارة، وعندما انتهت الهدنة التي كانت معقودة بين الطرفين، تحرك جاي في يناير عام 1282م، نحو طرابلس بهدف الاستيلاء عليها (108)، غير أن الخلافات دبت بين كل من جاي والداوية، بسبب عدم وجود ثقة

متبادلة بين الطرفين، مما أدى إلى لجوء جاي إلى برج الإسبتارية لمساندته، إلا أن تلك الأنباء وصلت إلى بوهمند السابع الذي سارع بمحاصرتهم في ذلك البرج. وتدخلت الداوية لرفع الحصار عن جاي بين الاسبتارية المنافسين للداوية، مقابل استسلامهم المشروط بالمحافظة على حياتهم، غير أن بوهمند غدر بهم، وقام بسمل أعين رفاق جاي من الداوية، وكان عقابه لبقية أعدائه أن أرسلهم إلى مدينة نيفين التابعة لإمارة طرابلس في فبراير 1280م، وقام بدفن أجسادهم حتى الأعناق وهم أحياء ثم تركهم يموتون جوعًا(108). مما دل علي ماكان لديه من سادية مريضة .

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من أن جماعة الداوية، مثلها مثل بقية الجماعات الدينية الصليبية الأخرى، كان لها قوانينها الخاصة بها في معاقبة المخطئين داخل الجماعة، غير أنهم لم يستطيعوا الصمود في وجه بوهمند ولا منعه من معاقبة إخوانهم، ويضاف إلى ذلك انتشار نوع آخر من القتل وهو الدفن حتى الرقبة وترك المتهم بلا طعام ولا شراب حتى الموت، وأيضًا اتباع طريقة سمل الأعين مع المتآمرين، كل ذلك يدل على مدى بشاعة تلك الجريمة وتطورها خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين .

ولقد شهد عام 1270م، ضربة موجعة للمجتمع الصليبي، فقد أراد السلطان بيبرس أن يثير الفوضى داخل صفوف الصليبيين، وذلك بأن عقد اتفاقًا مع الحشاشين من أجل اغتيال فيليب مونتفرات (109) Philip of Montfort أمير صور، فلقد شعر الحشاشون بالامتنان لبيبرس لأنه خلصهم من سيطرة فرسان الإسبتارية، بغزواته التي قادها ضدهم، كما أنهم ازدروا بشدة المفاوضات الصليبية المغولية التي دمرت مقرهم الرئيسي ببلاد فارس(110). وتقابلت رغبتهم تلك مع رغبة السلطان بيبرس الذي علم أن فيليب قام بإرسال خطابات ورسائل إلى ملوك أوربا يحثهم فيها على القدوم إلى بلاد الشام، ولذلك أراد بيبرس التخلص منه بأقصى سرعة، فاستعان بيبرس بالحشاشين لتحقيق هدفه، وبالفعل أرسل الحشاشون اثنين من أتباعهم إلى مدينة صور، وقابلا فيليب مونتفرات هناك وعرضا عليه استعدادهما للتنصر وبالفعل وافق فيليب على طلبهما ذلك وقام بتعميدهم وأدخلهم في

خدمته ووثق بهم، وقد علم بمخططهم أحد فرسان الصليبيين وكشف سرهم، غير أنهم استطاعوا رشوته بمائة بيزنط، حيث ظل صامتًا، وفي يوم الأحد 17 أغسطس 1270م، بينما كان فيليب واقفًا عند مدخل الكنيسة يتحدث مع أحد أتباعه، دخلا عليه الكنيسة فوجداه هو وابنه جون أوف مونتفرات John of Montfortيقدمون القرابين وبصحبتهم فارس واحد يدعى وليم أوف بيكاجيني William of Picquigny ، وبالفعل انتهز أحد الحشاشين الفرصة وانقض على فيليب وطعنه بالخنجر في صدره، ثم حاول قتل ابنه جون غير أن الحارس الخاص بجون استطاع القبض عليه، وتم قتل الحشاش الآخر، أما الحشاش الذي قتل فيليب فتم شنقه. وفيما يتعلق بالفارس الصليبي الخائن فتم التعرف عليه، فقبضوا عليه وعذبوه حتى مزقوا لسانه وقطعوا يده اليمنى ثم تم سحبه وشنقه في نهاية الأمر. (111)

ويلاحظ أن عمليات الحشاشين القاتلة لم تكن دائمًا بجانب الصليبيين ضد المسلمين، بل تغير الوضع وامتدت تلك الاغتيالات لصالح المسلمين أيضًا، وذلك كنوع من أنواع رد الجميل لما فعله بيبرس من تحريرهم من السيطرة الصليبية، كما يلاحظ أيضًا أن القادة الصليبيين لم يتخذوا حذرهم بشكل كامل بالنسبة لسلامتهم الشخصية، معتمدين في ذلك على قوتهم الشخصية وغرورهم في نفس الوقت، على أساس أن المسلمين لن يستطيعوا النيل منهم، وهو ما أثبت عكس ذلك على مر تاريخهم ببلاد الشام.

وفي عام 1272م، عندما كان الأمير إدوارد الإنجليزيEdward (112) موجودًا في مدينة عكا، كانت توجد نية للتخلص منه انتقاما لما قام به من مذبحة للتركمان أمام حصن كاكون(113)، فقد قدم إلى مدينة عكا أحد الحشاشين مدعيًا أنه يريد التنصر، ولم يمانع الأمير إدوارد وأمر أن يبقى بين خواصه، بل وأقنعه ذلك الحشاش أنه يستطيع التجسس على المسلمين لصالح الصليبيين، وقام بذلك عدة مرات حتى أطمئن له الصليبيون، ووثق به اللورد إدوارد وسمح له بالتحدث نيابة عنه(114)، وفي يونيو 1272م، دخل الفداوي على إدوارد محاولاً قتله أثناء تسلمه أحد الخطابات منه، وكان الملك إدوارد حريصًا إفقد استطاع

مقاومته وإسقاط الخنجر من يده على الأرض ولكن بعدما أصيب بثلاث طعنات في ذراعه، ودار بينهما قتال شديد استطاع الملك إدوارد خلاله الإيقاع به على الأرض وقتلهوإن أصيب هو بجروح (115)، وقد بذلت زوجة الملك إدوارد إليانور كاستلا Eleanor of Castile جهدًا كبيرًا من أجل سلامة زوجها حتى تماثل للشفاء(116).

أما فيما يتعلق بعمليات القتل العشوائي والجماعي، فقد حدث بمدينة عكا عام 1290م، التي كان التجار يأتون من دمشق بمتاجرهم إليها، وتحديدًا في أغسطس من ذلك العام، وصلت قافلة المحاربين المرتزقة إلى ميناء عكا، ومن لحظة وصولهم إلى المدينة وضعوا السلطات الصليبية في موقف محرج، حيث كانوا فوضويين وسكارى فاسقين، ولم يستطع قادتهم السيطرة عليهم، وذلك لعجزهم عن دفع رواتبهم بانتظام، وقد بدأوا يهاجمون الفلاحين المسلمين المسالمين، واندلعت أعمال الشغب في كل مكان، واندفع غوغاء الصليبيين في شوارع مدينة عكا يقتلون كل مسلم يقابلونه، ولأنهم كانوا معتقدين أن كل من له لحية مسلم، فقد هلك مسيحيون محليون، وارتاعت بارونات المدينة لما حدث، فتدخلوا لإنقاذ المسلمين، وقبضوا على بعض زعماء المشاغبين، غير أن أنباء تلك المذبحة وصلت إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الذي غضب بشدة لما حدث، وأصر على تسليم المجرمين له لكي يعاقبهم بنفسه على فعلتهم، وعقد البارونات مجلسًا للتشاور فيما بينهم، حيث نشبت الخلافات وتناقضت الآراء حول تسليم المجرمين إلى السلطان. (117)

ومن المثير للانتباه هنا صمت المصادر الصليبية عن جرائم القتل التي كانت تتم داخل طبقة العامة الصليبية، وأكتفائهم بترديد أن المجتمع الصليبي عامر بالمجرمين الذين كانوا السبب الرئيسي في انتشار الجرائم وتعددها داخل المجتمع الصليبي، واهتموا فقط بالطبقة الحاكمة، ويرجع ذلك إلى أن أغلب الكتاب الصليبيين كانوا من المؤرخين الرسميين للسلطة الصليبية، فلم يهتموا بالحوادث اليومية لطبقة العامة، وأيضًا يرجح صمت هذه المصادر عن ذكر جرائم القتل إلى كثرة حدوثها ووقوعها داخل المجتمع الصليبي، مما جعلهم يعزفون عن ذكرها حتى يظهرون مميزات المجتمع الصليبي ويسترون عيوبه القاتلة.

ويتضح مما سبق أن جريمة القتل لم تكن بشيء جديد على المجتمع الصليبي، ويرجع ذلك لتكوين المجتمع الصليبي ذاته والذي ضم بين عناصره العديد من القتلة الهاربين من أوربا، فارين بجرائمهم من وجه العدالة، بهدف التوبة غير أنهم سرعان ما تناسوا هدفهم الأساسي من الرحلة، وعادوا لممارسة جرائمهم مرة أخرى في المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

ويضاف إلى ذلك العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مر بها الصليبيون ببلاد الشام، والتي اختلفت تماما عن واقع معيشتهم الأوربية، مما كان له أكبر الأثر في تفشي جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي.

وكان للخيانة الزوجية دور مهم في انتشار جريمة القتل بين طبقات المجتمع الصليبي، حيث تسارع كل من الأزواج والزوجات في التخلص من الآخر، حتى يخلو له الطريق أمام مصاحبة طرف آخر يقضي معه وقتًا من المتعة، حتى لو أدى ذلك الأمر إلى كوارث اجتماعية.

كما تزايدت عمليات القتل بصورة كبيرة في القرن الثالث عشر الميلادي، داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، نتيجة لتدهور الوضع الأمنى داخل الإمارات الصليبية، وكثرة الصراعات بين عناصر المجتمع الصليبي نفسه.

ذلك عرض عن جريمة القتل في المجتمع الصليبي في القرنين 12،13 م

الهوامش

(1) عزت حسنين، جرائم القتل بين الشريعة والقانون دراسة مقارنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، 1993م، ص.ص10،9.

(2)محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير،كلية الآداب. جامعة المنصورة، 2005م، ص73.

(3)البيئة الفيزيقية:- وهى التي تشتمل على اليابسة والماء والسماء والمخلوقات الحية، والتي يطلق عليها البيئة الطبيعية، وهذا الطراز من البيئات هو الأساس الذي يتأثر معه الإنسان في شتى ما يقوم به من أوجه النشاط، رشيد الحمد، محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ط. الكويت، أكتوبر 1979م، ص25 .

(4)أحمد حويني وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط. الرياض، 1998م، ص.ص10،9 .

(5)روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق 1995م، ص185.

(6)سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص302.

(7) J. F. Michaud, History of The Crusades, New York 1855, p268, Conder, The Latin Kingdom, p25.

(8)ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص157.

(9)أحمد عبد القادر الشاذلي، الاغتيالات السياسية في إيران، العربي للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، 1997م، ص5.

(10) R. B. Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton 1917, p93.

(11) مجهول، كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج31، ط. دمشق، 1995م، ص20.

(12) تورس أو ثوروس:- هو أحد رجال فيلاريتوس زعيم جماعات الأرمن، حكم مدينة الرها بالنيابة عن الإمبراطورية البيزنطية، وفي عام 1095م، استقل بالمدينة، وارتضى بوجود قلعة الرها تحت حماية السلاجقة، وبعد طردهم قام بتقوية حصونه وقلاعه، وعمل على تقوية جيش مدينته، غير أنه سرعان ما أصبح غير مرغوب في إمارته، بسبب ضخامة الضرائب التي قام بفرضها على كاهل سكان المدينة، انظر-:

The Crusades An Encyclopedia, ed. Alan V. Murray, 4vlos, Oxford 2006, pp 1185-1186.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص.ص146-147.

(13)روايات ميخائيل السورى، ص185 .

(14)محمود الرويضي، محمد سالم الطراونة، " دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين (490-491هـ / 1097 – 1098م)"، حوليات آداب عين شمس، م (30)، يوليه – سبتمبر 2002م، ص194 .

(15)قسطنطين بن روبين:- كما تدعوه الحوليات الأرمينية، وهو ابن روبين ملك الأرمن، فقد كان حاكم ناجحا لإمارته، وكان أميرًا شجاعا وذا نخوة، وكان مقر إقامته بمقاطعته يحكم من خلالها أملاكه، وقد خاض في سبيل الحفاظ على إمارته العديد من الحروب، واستولى على كثير من الحصون والقلاع المختلفة المواقع، بل وصلت قوته إلى هزيمته للجيوش البيزنطية وأخذه العديد من الأسرى، ثم دخل في تحالفات مع الصليبيين ضد السلاجقة، وقد عمل على إعادة إعمار إمارته وإصلاح ما أخربته حروبه المستمرة، وتوفي عام 1100م أنظر-:

Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, , London, 1831, p.p 28-29.

(16)مدينة جرجر أو كركر:- وهى عبارة عن حصن كبير تقع بالقرب من ملطية بينها وبين آمد، ويقع بالقرب منها حصن الران، وكركر أيضًا حصن بين سميساط وحصن زياد، انظر:- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت 1979م، ج4، ص 452-453.

(17)وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص263.

(18)علية الجنزوري، إمارة الرها، ص69.

(20)سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص.ص150،149،الباز العريني، الشرق الأوسط، ص230، محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، ط. بيروت، 1982م، ص56،57.

(21)برترام: هو الأبن الأكبر لريموند دى سنجيل، كونت تولوز، فقد ترك والده جميع ممتلكاته فى تولوز للمشاركة في الحملة الصليبية الأولى، وعندما توفى ريموند ورث برتراند ملكه عندما قدم إلى مدينة طورطوسة بمصاحبة الأسطول الجنوى عام 1109م وطالب بحقوقه في أملاك أبيه في إمارة طرابلس، فأخذ نصف أملاكه منحة من الملك الصليبي بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس، وأمتدت سيطرته لحدود جبال لبنان، وجبال النصيرية، وتوفى في يناير عام 1112م، وتولى بعده أبنه بونز حكم إمارة طرابلس، للمزيد عنه أنظر: Alan, The Crusades An Encyclopedia, p165

(22)ألكسيوس الأول كومنين: ولد حوالى عام 1057م، وهو الابن الثالث لرجل نبيل يدعى جون كومنين وزوجته أنا دالاسينAna Dalassene، وقد خدم في الجيش البيزنطى كجنرال تحت حكم الإمبراطور ميخائيل السابع دوكاس Micael VII Docas 1071-1078م، ونقفور الثالث يوتانياتس Nicephor III Potaniates 1068-1078م، وبعد ذلك قام بثورة عليه وتولى الحكم في عام 1081م، كما تلقى دعم أسرة دوكاس حيث تزوج من إيريني دوكاس Irene DouKania عام 1078م، وقام بتطوير نظام الحكم في الإمبراطورية، وقام بتركيز القوى في يد العائلات الأرستقراطية التي تنتمى له بصلة قرابة، وكافأهم على دعمهم له، وقد توفى في 15 أغسطس 1118م .، للمزيد من التفاصيل عن حياته، أنظر:

Alan, The Crusades An Encyclopedia, p.p 45-46, COman, The Byzantine Empire, London, 1892, pp 256-269, Edwerd Foord, The Byzantine Empire, London,

1911, p.p331-344.

(23)وليم جوردان:- هو ابن عم ريموند صنجيل، ووريثه في ممتلكاته ببلاد الشام، فقد صحب ريموند خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى، وظل متواجد معه حتى مقتله في حصار مدينة طرابلس عام1105م .، وتم إرسال ابن ريموند ألفونسوا جوردان إلى إمارة أبيه صنجيل بالغرب الأوربي، وورث وليم أملاك ريموند ببلاد الشام، غير أن وليم جوردان دخل في صراع أخر مع برتراند، الذي إمتلك القوة والمال، والذي وصل للساحل الشامي عام 1109م وطلب وليم جوردان الدعم من تنكرد أمير طرابلس، وتدخل الملك بلدوين الآول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية لفض ذلك النزاع الذي إشتد بين الطرفين، وأعطى أنطرطوس وعرقة لوليم جوردان، وأقطع برتراند بعض الأقاليم الأخرى، للمزيد من التفاصيل، أنظر-:

Richard J. Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, 1945, p61-65, Alan, The Crusades, An Encyclopedia, p 1279,

السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، 1966م، ص.ص 141-146.

(24)أنطرطوس:- وهى بلدة تقع على سواحل بحر الشام، وهى من أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال مدينة حمص، وتعد أيضاً من أعمال مدينة طرابلس المطلة على البحر في شرقي عرقة وبينهما ثمانية فراسخ، وتمتلك المدينة برجين شديدي الحصانة مثل القلعة، انظر:- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص270 .

(25)عرقة:- وهى بلدة تقع شرقي مدينة طرابلس وبينهما أربعة فراسخ، وهى أخر أعمال دمشق، وتقع في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، ويقع على جبلها قلعة حصينة تابعة لها، وتعد من العواصم تقع بين رفنية وطرابلس، انظر:- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص109.

(26)وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص276 .

(27)السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، 1966م، ص.ص 141-146،سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص302.

(28) ميلون دي بلانسي:- هو من مواليد شمبانيا بفرنسا، وذهب إلى بلاد الشام عام 1160م، واشترك في حملات الملك الصليبي عموري الأول على مصر، وفي عام 1173م، تزوج من ستيفاني أرملة همفري الثالث أمير طورون، وفي 11 يوليو 1174م، توفي الملك عموري الأول، وخلفه ابنه بلدوين الرابع حيث كان طفلاً، وعين ميلون واصيا عليه، مما جعله محط أحقاد الآخرين من الأمراء، وقد قام بقيادة الأسطول الصليبي الذي بعث به وليام الثاني من صقيلة لمحاصرة مدينة الإسكندرية، غير أن منصب الوصي على العرش جعله يدخل في صراعات شرسة مع بقية أمراء البيت الصليبي، للمزيد من التفاصيل انظر-:

وليم الصوري، المصدر السابق، ج4، ص179.

Bernard Hamilton, "Miles of Plancy and the fief of Beirut", in The Horns of Hattin, ed.Benjamin Z. Kedar, Jerusalem, 1992, p. 136-46.

(29)وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج4، ص 179 .

N. Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land in Historical Narrtive, Woodbridge, 2007, p78.

(30)عبد الحفيظ محمد، مشكلات الوراثة، ص101 .

(31)وليم الصوري، المصدر السابق، ج4، ص 179 .

(32)سعيد السيد علي فرغلي، آل كورتناي ودورهم في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1992م، ص194.

(33)سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص 580 .

(34)وليم الصوري، المصدر السابق، ج4، ص 180.

(35)وليم الصوري،المصدر السابق، ج4، ص 180، عبد الحفيظ محمد، مشكلات

الوراثة، ص10.

(36)سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص580 .

(37)وادى عربة: أو عرابة بفتح أوله وتشديد ثانيه، وهى من أعمال عكا بالساحل الشامي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت 1979م، ج4، ص92.

(38)ريموند الثالث:- هو أمير إمارة طرابلس وطبرية، ونائب الملك الصليبي لفترتين (1174-1176م) ومن (1185-1186م)، وهو ابن لريموند الثاني أمير طرابلس وهويدرنا أخت الملكة مليزندا ملكة مملكة بيت المقدس الصليبية، وقد تولى الحكم فى إمارة طرابلس عام 1155م، ثم وقع في أسر نورالدين محمود عام 1164معندما كان يهاجم مدينة أرتاح، وظل في الأسر مدة ثمان سنوات، في حين كانت إمارته واقعة تحت سيطرة الملك الصليبي عموري الأول، وبعد أن تم إطلاق سراحه في أوائل عام 1174م، تزوج من إسشيفاEschiva ، أرملة والتر أوف سانت أوميرWalter of Saint Omer، وفي ربيع عام 1180م، توجه كل من ريموند الثالث بصحبته بوهيموند الثالث أمير أنطاكية بجيوشهما نحو مملكة بيت المقدس من أجل تدعيم الملك الصليبي بلدوين الرابع، وتوفي عام 1187م، للمزيد من التفاصيل عن حياته، انظر-:

Baldwin, Raymond III of Tripoli and The Fall of Jerusalem (1140-1187), Princeton: Princeton University Press, 1936, Hamilton, Bernard, The Leper King and His Heirs: Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem, Cambridge, 2000.

(39)محمد مهيوب، الاغتيالات، ص188.

(40)Annales des Terre Sainte, 1095-1291, Edi.: Gaston Raymoud, Paris, 1884, p445.

(41)ليو الأول الأرميني: نجح ليو الأول الأرميني كأحد أمراء أخيه روبين الثالث الذي كان قائدًا عامًا على كاليكيا الأرمينية، وقد نجح في حماية بلاده من اعتداءات السلاجقة

المستمرة، وقد استطاع مد نفوذ إمارته غربًا فيما وراء سلوقية، وشمالا فيما وراء بوابات كاليكيا، وقد اهتم بتعمير إمارته، وأقام بها العديد من المشروعات، وقد قام بمفاوضة الإمبراطور فردريك بباروسا، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، من أجل أن يقوم بتتويجه رسميًا على بلاده، أثناء عبور فردريك بباروسا كاليكيا، غير أن مشروعه باء بالفشل نتيجة وفاة فردريك أثناء عبوره أحد انهار كاليكيا عام 1190م وذلك أثناء مشاركته بالحملة الصليبية الثالثة (1189-1192م)، وقد قام ليو بإرسال فرق عسكرية شاركت في حصار مدينة عكا خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة، وذلك من أجل مشاركة إخوانه الصليبيين على الرغم من الخلافات التي وقعت بينه وبين أمير أنطاكيا وجماعة الداوية، وفي 6 يناير 1198م تم تتويجه ملكًا في طرسوس بواسطة الأرمن الكاثوليك في حضور بطاركة السريان الأرثوذكس، ومبعوث البابوية، ومستشار الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث أنجيلوس، للمزيد من التفاصيل، أنظر-:

Alan, Encyclopedia, p722, Nersessian, The Kingdom of Cilician Armenia, in Setton, Vol. 2, London, 1969. p.p 644-651.

(43) رنسيمان، الحملات الصليبية، ج3، ص180.

(44)أولفر أوف بادربورن، الاستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج 34، ط. دمشق، 1998م، ص69، نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص72.

(45)محمد مهيوب، الاغتيالات، ص200، عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون في بلاد الشام، ص176.

(46) أسامة زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام، ص236، رنسيمان، المرجع السابق، ص184.

(47) نهى فتحي، المرجع السابق، ص72.

(48) محمد مهيوب، الاغتيالات، ص200.

(49) نهى فتحي، المرجع السابق، ص73.

J. F.Michaud, History of The Crusades, New York, 1855, p190

(50) علاء الدين كيقباذ:- هو ابن السلطان كيخسرو الأول، وتولى بعد وفاة أخيه كيكاوس الأول(1211-1219م)، وقد امتاز عهده بالرفاهية وزيادة العمران وتطور التجارة وتنمية الصناعة وتقدم الزراعة، فاستطاع أن يجعل من مملكته أغنى الممالك، وكان ذلك بسبب سياسته العسكرية الراجحة ودبلوماسيته المتفوقة، فقد مد حدود مملكته حتى الشاطئ الجنوبي للأناضول، حتى الساحل المواجه لجزيرة قبرص، وأقام مقره الرئيسي في موضع اسمه العلايا، وقد اهتم بقوته البحرية، حيث أنشأ أسطولاً قويًا، هاجم به كريميا 1225م، في الوقت نفسه الذي أرسل فيه جيشًا لأرمينيا في الشرق، أنظر:

مجهول، أخبار سلاجقة الروم، من مؤلفات القرن السابع الهجري، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، ط. القاهرة، 2007م، ص.ص 2- 245، زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط. القاهرة، ب.ت، ص120، يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ت. عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، أستنابول، 1988م، ص72.

(51)قسطنطين:- بعد اغتيال أتان Atan تم تعيين قسطنطين نائبًا للملك في مايو عام 1219م، ثم بتتويج ابنة أتان إيزابيلا ملكة على أرمينيا، والتي كانت وريثته الوحيدة، وعند زواج قسطنطين من العائلة المالكة، اعترف به البارونات ملكا شرعيا على البلاد، وأقسموا له يمين الولاء والطاعة، غير أنه سرعان ما دبت الاضطرابات في أنحاء مملكته، فقد دخل في صراعات مستمرة مع سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، ومع الصليبيين بإمارة أنطاكية، وتوفي قسطنطين عام 1223م، وخلفه ابنه هيثوم في وراثة العرش، للمزيد من التفاصيل أنظر-:

Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, London, 1831, p.p 46-47.

(52) قلعة العمودين أو العمادية:- هى قلعة تقع على ثلاث مراحل من الموصل من الشرق والشمال، وهي جبل من الصخر في الوطأة، وتحتها مياه جارية، وهي في جهة الشمال من أربل، انظر:- أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينود، ماك كوكين ديسلان، ط. باريس 1840م، ص350.

(53)حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص321.

(54) سعدون عباس نصرالله، رحيل الصليبيون عن الشرق فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط. بيروت، 1995م، ص13.

(55) R .B .Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton 1917, p.93

(56)ستيفن الشارتري:- كان فارسًا ثم فيسكونتًا في مدينة شارتر بفرنسا، ثم التحق بخدمة الكنيسة بنفس المدينة، ثم ارتحل إلى الأراضي المقدسة حيث تم انتخابه بطريركًا لمملكة بيت المقدس من 1128-1130م، وقد كان أحد أسباب تقوية النفوذ الكنسي داخل المملكة الصليبية ببلاد الشام، ونتيجة لذلك دخل في صراع شرس مع الملك الصليبي بلدوين الثاني، وقد كان له دور في تنظيم نشأة جماعة الداوية، للمزيد عنه، أنظر-:

Hamilton, The Latin church in the crusader states, Landon 1980, Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, p1123.

(57)جورموند:- من أصل فرنسي، حضر إلى الأراضي المقدسة قادمًا من مدينة بيكيني Piquigny، الواقعة في أسقفية أمينيزAmiens ، حيث تولى بطريركية مملكة بيت المقدس خلفًا لأرنولف عام 1118م، وقد كان رجلاً معروفا بالاستقامة، حسبما وصفه وليم الصوري، وقد استطاع أن يوفق أوضاع الكنيسة والمملكة الصليبية باقتدار أثناء فترة أسر الملك الصليبي بلدوين الثاني، وظل في منصب البطريركية حتى عام 1128م، للمزيد عنه، أنظر:-

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص344، سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات

الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099-1291م)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، 1990م، ص.ص 140-141، هامش(2).

(58)وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص 67.

(59) إبراهيم سعيد فهيم محمود، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (1099-1291م)، ط. الأسكندرية، 1991م، 130.

(60)وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص68، محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغتيالات، ص209

(61)وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص68، سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية، ص21.

(62)رالف:- ولد رالف بمدينة دمفرونت بنورماندى جنوب فرنسا، حيث كان فارسًا ثم إنضم بعد ذلك للسلك الكهنوتي، ثم ذهب إلى بلاد الشام حيث تم انتخابه بطريركًا لأنطاكية خلفًا لبرنارد أوف فالنس، وسرعان ما دخل رالف في صراع مع ريموند أمير أنطاكية، انظر:-

B.Hamilton"Ralph of Domfront, Patriarch of Antioch (1135-1140)", in; Nottingham Medieval Studies, No.28, (1984), p.p(1-21)

(63)ريموند الثاني:- هو ابن بونز أمير طرابلس، وكليكيا أوف فرانس أرملة تنكريد أمير أنطاكية، ووصل ريموند للحكم بعد مقتل والده عام 1137م، ثم تزوج من هويدرينا Hodierna أخت الملكة مليزندا Melisende ملكة بيت المقدس، والتي أنجبت له ريموند الثالث Raymond III، ووقع في أسر زنكى، ثم أطلق سراحه، حيث دخل في صراع مع ألفونسو أوف جوردان Alphonse of Jordan، وقد كان لريموند علاقات مع فرسان الإسبتارية حيث منحهم قلعة الكرك، وقد كان من نتائج الصراع مع ألفونسو، عدم يتعاون ريموند مع قادة الحملة الصليبية الثانية في الهجوم على مدينة دمشق،

وتوفي ريموند الثاني عام 1152م، لمزيد من التفاصيل أنظر:-

Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, 1945, p.p 7-11.

(64) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص.ص 193-197، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص434.

(65) روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، 1995م، ص 165.

(66) وليم الصوري: هو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية في القسم الأول من القرن 12م، ولد في بيت المقدس حوالي عام 1127م، من أبوين فرنسيين، وقد تلقى وليم الصوري المؤرخ تعليمه الأول في إحدى المدارس التابعة للأديرة، وفيما بعد سافر إلى الغرب الأوربي خاصة فرنسا وبولونيا حيث تتلمذ هناك على مراكز العلم خلال نهضة القرن 12م، لمدة عشرين عامًا فيما بين عامي 1146-1165م،وعندما عاد أدراجه إلى بيت المقدس خلال عهد الملك عموري الأول (1163-1174م)، جعله مؤدبًا لابنه بلدوين الرابع، وطلب منه كتابة تاريخ المملكة الصليبية، وبالفعل ألف تاريخ الأعمال، وتاريخ الأمراء الشرقيين، والأخير مفقود، للمزيد من التفاصيل أنظر:

Edbury and Rowe, William of Tyre Historian of the Latin East, Cambridge, 1988, Krey, "William of Tyre The making of an Historian in the Middle Ages", S, Vol. XVI, 1941, PP149-166, Davis, "William of Tyre", in, Relations between East and West in The Middle Ages,ed. Baker, Edinburgh, 1973, PP64-77, R. Crawford, William of Tyre and Maronites, Speculum, Vol.30, No.2, (Apr 1955), PP. 222-228,

جمال الزنكى، " المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية،

العدد:85، السنة 22، 2004م، ص41- 47، سمايلي، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة، 1980م، ص.ص186-187، عمر كمال توفيق، " المؤرخ وليم الصوري"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م(21)، عام1967م، محمد مؤنس عوض، وليم الصوري مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من 1137-1150م، سلسلة دراسات شرق أوسطية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ط. القاهرة، 1995م .

(67) البطريرك هرقل: هو في الأصل شخصية دينية فرنسية، ولدت في مقاطعة أفريجين Auvergneفي جنوبي فرنسا، وقدم إلى بيت المقدس وصار قسيساً، وتولى منصب رئيس شمامسة بيت المقدس خلال المدة من 1169-1175م، وفي أعقاب هرنسيوس رئيس أساقفة قيسارية عام 1175م، تم انتخابه من فوره لكي يتولى المنصب الشاغر، وقد مثل المملكة الصليبية خارجياً حيث توجه عام 1178م مع وفد من رؤساء الأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة إلى روما، وفي أعقاب وفاة عموري أنسلم بطريرك بيت المقدس عام 1180م، تم انتخاب هرقل لكي يخلفه في منصبه، أنظر:

سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099-1291م)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، 1990م، حاشية(1)، ص280، مارشال بلدوين، اضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174-1189مضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس، ص285، حاشية (17)،

Kedar, " The Patriarch Eraclius", in Kedar (B.Z), Mayer, and Smail (R.C), ed. Outremer Studies in the Crusading kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1982, PP 177-204, Regan, Saladin and the Fall of Jerusalem, London, 1987, P55, M. Spinka, Latin Church of the Early Crusade, Church History, Vol.8, No.2, (Jun1939), P.122.

(68)ذيل وليم الصوري، ص 83 .

(69)Archer and C. L. Kingsford, The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem, New York, p 270, W. Besant, Jerusalem, The City of Herod and Saladin, London, 1871, p267.

(70) ذيل وليم الصوري، ص 83.

(71) عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية (113-1187م)، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، 1984م، ص.ص 72،73.

(72) محمد مؤنس، " أضواء على الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من 1098 إلى 1174م/ 491-570هـ "، ضمن كتاب (عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، 2006م، ص 125 .

(73)Anonymous , City Of Jerusalem (1220 A.D) , Trans. C.R.Conder , P.P.T.S. London 1896, p59.

(74) نسرين الأربلي، التدابير الأمنية، ص.ص132،133.

(75)محمد مؤنس، أضواء على الطب، ص125.

(76)مهيوب، الاغتيالات في بلاد الشام، ص208.

(77)محمد مؤنس، المرجع السابق، ص126.

(78) Jacques de Vitry, Letters de Jacques de Vitry, (Par. R.B.C.Huygens),Leiden, 1960, p87.

(79) Jacques de Vitry, Letters de Jacques de Vitry, p87 .

(80)The Monk Theodosios the Constantinopolitan, The Life of Leontios patriarch of Jerusalem, Trans.: Dimitris Tsougarakis, New York, 1993, p129

(81)P. Mitchell, Medicine in the Crusades: Warfare, Wounds, and The Medieval Surgeon, Cambridge, 2004, p155.

(82) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص291.

France, The Crusades and The Expansion of Catholic Christendom, 1000-1714, New York, 2005, p137

(83)Natasha Hodgson, Women, Crusading and the Holy Land, p140,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص.ص 512،513، أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام، ص224، عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، 1966م، ص276، حامد زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط. القاهرة 1983م،ص 99.

(84)صيدا:- مدينة وقلعة تقع على الساحل الجنوبي من لبنان، على رقعة متسعة من الأرض تمتد قليلاً داخل البحر، وللمدينة مرفأ يحميه ريف صخري طبيعي، كما يحميه حصن بحري من الهجمات الخارجية القادمة من البحر، انظر:- مولر، القلاع، ص90..

(85)أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الإسكندرية 1988م، ص148.

(86)كونراد أوف مونتفرات: هوابن وليم الثالث مركيز مونتفرات بشمال إيطاليا، حضر أخوه وليم طويل السيف أكبر أبناء المركيز إلى الشام في عام 1175م، وتزوج من سبيلا شقيقة بلدوين الرابع وانجب منها بلدوين الخامس، إلا أن وليم مات في عام 1177م وذهب أخوه الثاني رينيه إلى بيزنطة ومات هناك، وقدم أبوه المركيز العجوز إلى بلاد الشام في عام 1185م، بعد موت الملك بلدوين الرابع ليرعى حفيده بلدوين الخامس، وكان المركيز من بين أسرى صلاح الدين في حطين، وذهب كونراد إلى القسطنطينية حيث ساعد الإمبراطور اسحق انجليوس (1185-1195م)، في القضاء على ثورة اندلعت ضده وتزوج من ثيودورا شقيقة الإمبراطور البيزنطي الذي تشكك في نوايا كونراد فيما بعد وساءت العلاقات فيما بينهما، فحضر كونراد وبصحبته بطانته من الإيطاليين، ورسا في مرفأ عكا،

وعلم أنها سقطت في أيدي صلاح الدين، فتظاهر بأنه تاجر من الغرب حتى تمكن من الإبحار إلى صور، وكانت والدة كونراد أختًا غير شقيقة لوالد الإمبراطور فريدريك بربروسا، وكان أبوه المركيز العجوز أخًا غير شقيق لأديلا والدة الملك لويس السابع، كما كان كونراد عما للملك بلدوين الخامس ملك بيت المقدس الطفل: للمزيد أنظر:

Ernoul, Chronique d' Ernoul et de Bernard Le Tresier, ed., M.L. de Mas Latrie, Paris, 1871, pp.180-181.

حسين عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، 2000م، ص 201.

(87) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة 2000م، ص88.

(88) محمد مهيوب، الاغتيالات، ص190.

(89)جاي لوزيجنان: نبيل من أصل فرنسي، تزوج من سيبلا بنت الملك الصليبي عموري الأول،وصار ملكًا على مملكة بيت المقدس الصليبية عام 1186م، ووقع في الأسر يوم حطين، وبعد وفاة زوجته دخل في صراع على العرش مع كونراد مونتفرات، ثم تخلى عن عرش بيت المقدس في مقابل ملكيته لقبرص، للمزيد من التفاصيل عنه انظر:

مجهول، ذيل وليم الصوري، متفرق، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص20،

Ernoul, Chronique d' Ernoul, p 172-186, Cf. also, Mas Latrie, Historie de l'ile de Chypre Sous le regne des princes de la maison de Lusignan, T..I, Paris, 1861, PP1-42, Painter, The Houses of Lusignan and Chatellerault 1150-1250, Speculum, Vol.30, No.3, (Jul.1955), pp. 374-384, Id, The Lords of Lusignan in The Eleventh and Twelfth Centuries, Speculum, Vol.32, No.1, (Jan.1957), .pp. 27-47

(90)ريتشارد قلب الأسد: هو ابن الملك الإنجليزي هنري الثاني ووريثه في حكم إنجلترا، اعتلى عرش إنجلترا عام 1189م، وما لبث أن خرج للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة،

وبعد عودته من الشرق دخل في حرب طويلة مع فرنسا للمحافظة على أملاكه الأوربية، حتى توفي على أثر جرح بالغ، عام 1199م، للمزيد عنه أنظر:

أمبروز، صليبية ريتشارد قلب الأسد، ضمن الموسوعة الشامية، ج32، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، 1989م، تواريخ أل بلانتجنت، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، 1989م، ص217-280،

Gervas (The Monk of Canterbury), The Gesta Regum with its Continuation, ed, William Stubbs , R.S., vol.73., pt.2, London, 1965, pp86-91, Cf. also: Round (J.H), "Some no.71, (Jul., 1903), pp. 475-781, John Finlayson, "Richard, Coeur de Lyon", Romance History or Something in Between?, Studies in Philology, Vol.87, No.2(Spring1990).

(91)فيليب الثاني أوغسطس: ابن لويس السابع ملك فرنسا وخليفته، ولد عام 1165موتولى الحكم عام 1180م، وشارك في الحملة الصليبية الثالثة، حكم لمدة طويلة وصلت إلى 44 عامًا، إذ توفي عام 1223م، بعد أن رسخ نفوذ ملوك فرنسا ووسع نفوذهم مستغلا الحروب ضد الهراطقة المعروفة بالألبجينسية بمباركة البابوية، ولم يتوفى حتى صارت فرنسا قوة عظمى في أوربا، للمزيد عنه انظر:

Walker, On the increase of royal power in France under Philip Augustus, London, 1888, p.p1-144; Hutton, Philip Augustus, London, 1896,p.p1-228.

(92) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص43، مولر فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، 1984م، ص 24.

(93)Corless Slack, Historical Dictionary of The Crusades, Oxford, 2003, p103.

(94) ابن شداد (القاضى بهاء الدين ت 1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجى، ط. القاهرة، 1994م، ص310.

Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099 – 1291 A.D, London, 1897, p284.

(95) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج2، ص163.

(96) ذيل وليم الصوري، ص226.

(97) أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثان عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الأسكندرية، 1980م، ص228.

(98)مجهول، المصدر السابق، ج2، ص 163، أبو شامة، الروضتين، ج2، المجلد 4، ص 175 .

(99) راشد الدين سنان: هو راشد الدين سنان بن سلمان محمد أبو الحسن البصري، مقدم الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، خاصة في النصف الثاني من القرن 12م، وتحديدًا خلال المرحلة من 1163 إلى 1193م، وهو في الأصل من مدينة البصرة من قرية عرفت باسم عقر السدن، وقد سيطر على أتباعه سيطرة تامة، وقد وصف بأنه كان " بعيد الهامة عظيم المخاريق"، وكانت له قدرة كبيرة على مخادعة القلوب، ووصفته المصادر التاريخية السنية بأنه أباح لأتباعه المحرمات، وقد توفى عام 1193م، وبعد وفاته، أعتقد أتباعه في غيبته ورجعته، وهناك من قرر أن في حصن الكهف- وهو من حصون الدعوة الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام- يوجد الغار الذي اختفى فيه راشد الدين سنان، ويقال انه مدفون فيه، وزعموا أنه غاب فيه ويظهر منه، للمزيد أنظر:

ابن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، 1955-1957م، ص.ص 137-138، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، 1992م، ج6، ص117، شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق: مهرن، ط. بطرسبرج، 1865م، ص208، أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية

(القرن الثاني عشر الميلادي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الإسكندرية، 1980م، عارف تامر، سنان وصلاح الدين، ط. بيروت، 1956م، عثمان عبد الحميد عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية 1097-1290م، ط.الخرطوم، 1983م، ص.ص1-230.

(100)عثمان عبد الحميد عشرى، المرجع السابق، ص167.

(101)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه:- محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، 2003م، ج10، ص213.

(102)العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، ط. القاهرة، 1965م، ص589،عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون، ص168.

(103)مجهول، تواريخ أسرة بلانتغنت، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج30، ط. دمشق، 1998م، ص266.

(104) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص43.

(104)Eracles, pp195-198, Charles E. Nowell, The Old man of the Mountain, in: J.M. S, vol, 22, p508,

وأنظر: حسين عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص 205، حاشية رقم(18)

(105) حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (1171-1268م/567-666هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، 1989م، 351 .

(106)هنري أمبرياكو:- وقد تولى حكم مدينة جبيل، وكان يعد العدو اللدود لبوهمند السادس صاحب طرابلس، ومنذ اللحظة الأولى التي تولى فيها حكم تلك المدينة، أعلن انفصال تبعيته عن كونت طرابلس، وأعترف بفضل الجنوية وساندهم، أنظر-:

سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002م، ص122.

(107)The Templar of (رنسيمان، الحملات الصليبية، ج3، ص338. Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans, Paul

Crawfod, Cornwall, 2003, p32.

نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص88 .

(108)جاي الثاني أمبرياكو:- هو ابن أخت لورد بيروت جون أوف أبلين الأصغر الذي توفى، ولذلك فقد إنحدر من عائلة أصلها من مدينة جنوة الإيطالية تدعى أمبرياكو، وكان جده وليام أوف أمبرياكو حاكم جبيل، وقد دخل جاي في صراعات مع بوهيمند السابع أمير طرابلس، وقد قتل عام 1282م، للمزيد عنه أنظر-:

The Templar of Tyre, Op.Cit p71.

(109)نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص98 .

(111) Les Gesta des Chiprois, ed. R.H.C. Doc Arm, t.II, Paris, 1906, pp.748-750,

سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002م، ص 135، إبراهيم خميس، دراسات، ص354، نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص.ص 98-99.

(110)فيليب مونتفرات: كان والده هو جاي مونتفرت، وأمه هيلفيس إبلين، تزوج من ماريا الأرمينية ابنة ريموند روبين التي ورثت إقطاع تبنين، كان شديد الولاء لأخواله آل إبلين، ومن ثم تصدى لمحاولة فلانجيري عام 1243م، للقضاء على الأبلنيين في عكا، شارك في المعركة الحربية التي هزم فيها الجيش المصري الصليبيين عام1243م، كما شارك في حملة لويس على مصر وفر من الأسر في دمياط، وشارك مشاركة فعالة في الأحداث السياسية وذاع تأييده المطلق للملك هيو الثالث زلميز من التفاصيل أنظر:

The Templar of Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans by, Paul Crawfod, Cornwall, 2003, PP.60-63

(111)رنسيمان، الحملات الصليبية، ج3،

(112) The Templar of Tyre, p.p 65,66.

(114)الأمير إداورد: هو ابن هنري الثالث ملك إنجلترا وولي عهده، ولد في (17 من يونيه

1239م)، قرر المشاركة في حملة لويس التاسع الصليبية على تونس عام 1270م، لكنه تأخر ووصل بعد فوات الأوان، لكنه قرر الوفاء بالنذر الصليبي الذي قطعه والده على نفسه ولم يستطع الوفاء به بسبب المشاكل السياسية التي تعاني منها بلاده، لكنه لم ينجز شيئًا، فغادر عكا بعد عقد هدنة مع المماليك في عام 1272م ليجد نفسه وقد صار ملكًا على إنجلترا بعد وفاة والده، لكنه ظل مهتمًا بالحركة الصليبية دون أن يستطيع تقديم شيء يذكر في ظل مشاكله الأوربية وتدهور أحوال الصليبيين في بلاد الشام، حتى توفي عام 1308م، للمزيد عنه أنظر:

The Templar of Tyre, PP67-69, Eracles, L' Histoire d' Eracles Empereur et La Conqueste De La Terre d'Qutremer, R.H.C, Hist. Occidentaux, Tom. II, Paris, 1849, pp. 61-62, The Chronicle of Bury St. Edmunds, Trans.: Antonia Gransden, London, 1964, PP46-54,

أيضاً: زينب عبد المجيد عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، 1996م، ص207–238، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص238 .

(114)زينب عبد المجيد عبد القوي، المرجع السابق، ص215.

(115)أسامة زكي، الصليبيون، ص238 .

(116)جرجس فام، الأحوال السياسية، ص239.

P.Edward I, London, 1997, p78.

(117)رنسيمان، الحملات الصليبية، ج3، ص 473.